

الفصل الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

الفصل الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

وفيه ثلاثة مباحث :

الأول : القرآن والقصص وبيئة السورة .

الثاني : الوحدة الموضوعية بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم .

الثالث : ما انفردت به سورة القصص .

المبحث الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

وفيه :

أولاً : التعريف بالقرآن الكريم لغةً واصطلاحاً .

- القرآن الكريم لغةً .
- أقوال العلماء فى أصل كلمة القرآن .
- أقوال العلماء فى اشتقاق كلمة القرآن .
- القرآن شرعاً .

ثانياً : أنواع القصص فى القرآن ، وتكراره ، وحكمته ، والعبرة منه .
(أ) من حيث التكرار :

- فائدة التكرار القصصى .
- فوائد التكرار عند الباقلانى .

(ب) من حيث الموضوع :

- قسم عن الأنبياء والرسل .
- قسم عن أفراد وطوائف .
- قسم عن حوادث وأقوام .
- الحكم والعبر من القصص القرآنى .

ثالثاً : بيئة السورة .

- الجو الذى نزلت فيه السورة .
- التعريف بها

(١) مكيتها .

(٢) عدد آياتها .

(أ) سبب تسميتها .

(ب) ترتيب السورة بين سور القرآن ، وأسباب نزول بعض آياتها .

أولاً : التعريف بالقرآن الكريم لغةً واصطلاحاً :

القرآن الكريم لغةً :

يقال : (قرأ) الكتاب . قراءةً ، وقرآنًا : تتبع كلماته نظرًا ، ونطق بها .
و (قرأ) الآية من القرآن : نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ ، فهو قارئ .
و (قرأ) الشيء قرءاً ، وقرآنًا : جمعه ، وضم بعضه إلى بعض ^(١) .
فالقرآن الكريم فى اللغة : مصدر (قرأ) بمعنى تلا ، أو بمعنى جمعه ، تقول : قرأ قرءاً وقرآنًا ،
كما تقول : غفر غفرًا وغفرانًا ، فعلى المعنى الأول : (تلا) يكون المصدر بمعنى اسم
المفعول ، أى : بمعنى مثلّو ، وعلى المعنى الثانى : (جمّع) يكون مصدرًا بمعنى اسم الفاعل ،
أو اسم المفعول ، أى بمعنى أنه جامع لجمعه الأخبار والأحكام ، ويجوز أيضا أن يكون بمعنى
مجموع ، لكونه جُمِعَ فى المصاحف والصدور ^(٢) .

أقوال العلماء فى أصل كلمة (القرآن) :

نقل الإمام العلم الإمام السيوطى . رحمه الله تعالى . فى كتابه الماتع (الإتيان فى علوم القرآن)
طرفاً من هذه الآراء ، وهو بصدد سرد أسماء القرآن الكريم ، ومعانى هذه الأسماء ، ومحور
الاختلاف بين هذه الآراء حول كون القرآن مشتقاً أو غير مشتق ، ومهموزاً أو غير مهموز ،
وتفرع عن هذا آراء وأقوال ، وهالك التفصيل :

(١) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ط ٣ - مادة (قرأ) .

(٢) ابن عثيمين . شرح أصول فى التفسير . تحقيق : صلاح الدين محمود السعيد . دار الغد الجديد القاهرة .

المنصورة . ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م . ص (١٧) . بتصرف يسير .

أقوال العلماء فى اشتقاق كلمة (القرآن)

(القول الثانى)

الاشتقاق

(القول الأول)

عدم الاشتقاق والهمز

(ب) « مشتق غير مهموز »

(أ) « مشتق مهموز »

(٢)

(١)

(٣)

(٢)

(١)

مشتق من	مشتق من	قول قُطِرْب	قول اللحيانى	قول الزجاج وأنه
القرائن بمعنى	قرنت بمعنى	وهو من قَرَأَتْ	وأنه مصدر	مشتق من القُرء
التصديق	ضمنت وهو	الناقة سلاً ،	لَقَرَأْتُ	بمعنى الجمع وهو
والمشابهة	قول	أى: رمت بولد		قول أبى عبيدة
وهو قول	(الأشعرى)			والراغب
(الفراء)				

(القول الأول) عدم الاشتقاق :

قال جماعة : هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروي عن الشافعى ، أخرج البيهقى والخطيب وغيرهما عنه ، أنه كان يهمز (قرأت) ، ولا يهمز (القرآن) ويقول : القران اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

(القول الثانى) الاشتقاق :

(أ) القرآن مشتق مهموز :

(١) قال الزجاج : والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فهو وصف على (فُعْلان) ، مشتق من (القُرء)^(١) ، بمعنى الجمع ، ومنه : قرأت الماء فى الحوض ، أى جمعته .

(١) (القُرء) بفتح القاف خلاف (القُرء) بضمها ، فالأول بمعنى الجمع ، والثانى اسم للدخول فى الحيض عن طهر ، ولما كان اسماً جامعاً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منهما ، لكن قال الصنعانى فى سبل السلام : " واعلم أن هذه اختلف فيها سلف الأمة وخلفها مع الاتفاق أن القُرء بفتح القاف وضمها يطلق لغة على الحيض والطهر ، وأنه لا خلاف أن المراد

قال أبو عبيدة : وُسُمِيَ بذلك ، لأنه جمع بعضها إلى بعض .
قال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ، ولا لجمع كل كلام قرآن ، قال : وإنما سمي قرآناً ، لكونه
جَمَعَ ثمرات الكتب السالفة المنزلة ، وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .
(٢) قال اللّحيانى : هو مصدر لَقَرْتُ ، كالرُّجْحان والغُفران ، سُمِيَ به الكتاب المقروء ، من باب
تسمية المفعول بالمصدر .

(٣) قال فُطرب : إنه إنما سُمِيَ قرآناً لأن القارئ يُظهِره وَيُبَيِّنُهُ من فيه ، أخذاً من قول العرب :
ما قرأت الناقة سلاً قط ، أى ما رمت بولد ، أى ما أسقطت ولداً ، أى ما حملت قط ، والقرآن
يلفظه القارئ من فيه ، ويلقيه فُسُمِيَ قرآناً .

(ب) القرآن مشتق غير مهموز :

(١) قال الأشعرى : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء ، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ،
وسُمِيَ به لقران السور والآيات والحروف فيه .

(٢) قال الفراء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ، ويشابه بعضها
بعضاً ، وهى قرائن .

وعلى القولين السابقين فهو بلا همز ، ونونه أصلية .

اختيار الإمام السيوطى :

قال السيوطى بعد سرد هذه الأقوال : (والمختار عندى فى هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعى
(أ.هـ .أى : أنه اختار القول بعدم الاشتقاق والهمز ، وهو القول الأول ^(١) .

المناقشة والترجيح :

أما القول الأول المنسوب إلى الشافعى . رحمه الله . ، والذي رجحه السيوطى . رحمه الله . فإن
صح عن الشافعى ، فلعله قاس ذلك على أسماء الله تعالى ، إذ إن الأصل فيها التوقف لا
الاشتقاق ، ذكر ذلك الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله . عند ذكر القاعدة الخامسة من قواعد
الأسماء والصفات ، فقال : «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها » :

(ثلاثة قروء) أحدهما لا مجموعهما ، إلا أنهم اختلفوا فى الأحد المراد منهما فيهما . انظر : الصنعانى -

سبل السلام - تحقيق : الصبايطى - دار الحديث - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م - (٣ / ٢٩٩) .

(١) السيوطى . الإتقان فى علوم القرآن . دار مصر للطباعة . د.ت . ص (٧٠) بتصرف فى ترتيب الأدلة على
النحو السابق .

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف فى ذلك على النص لقوله تعالى : ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) (الإسراء / ٣٦) ^(١) ، ولعل الأقرب إلى الصواب . والله أعلم . القول الثانى ، سواء أقال بالهمز أم عدمه ، وذلك للأسباب التالية :

(١) لا يوجد ثمة حرج شرعى ، أو خطأ لغوى إن قلنا باشتقاق الكلمة .
(٢) أن الكلمة أو اللفظة إذا كانت أواله حمالة لأوجه متعددة كان هذا إثراء للمعاني والإحياءات، بخلاف اللغات الأخرى، التى تحتاج للمعنى القليل سرداً كثيراً، وهذا لفقر دلالاتها ومعانيها ، قال العلامة ابن خلدون . رحمه الله . :
« وكانت الملكة الحاصلة للعرب على ذلك أحسن الملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعانى، مثل الحركات التى تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا فى لغة العرب، وأما غيرها من اللغات، فكل معنى أحوال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ^(٢) .

(٣) المعانى الكثيرة التى ذكرها العلماء لكلمة (القرآن) ، تدل بقوة على اشتقاقها، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك، لثبت لها معنى واحد، بيد أنهم ذكروا أن من معانيها ما يلى :

- الجمع من (القرء)
- المقروء من تسمية المفعول بالمصدر
- إظهاره وتبيينه من الفم من قولهم : ما قرأت الناقة سلاً
- الضم من قرنت الشيء بالشيء .
- القرائن من تصديق ومشابهة الآيات بعضها بعضاً .

(١) الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين . القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى . تحقيق وتخريج الأحاديث : أشرف بن عبد المقصود . مكتبة السنة . القاهرة . ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م . ص (١٦) .
(٢) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون . دار الشعب مصر . د . ت . ص (٥١٤) .

مما يقوى ما ذهبنا إليه من القول بالاشتقاق، وأنها من الألفاظ المتواطئة التى تدل على معانٍ أو ذوات مختلفة بينها قدر من الاشتراك فى الأذهان ^(١)، وهذا واضح لمن يتتبع المعانى السابقة .

(٤) آيات عديدة وردت تؤيد هذه المعانى المشتقة، من ذلك :

- كونه (قرآن) ، لأنه جامعٌ للكتب السابقة ، وجامع لثمره جميع العلوم .

- قول الله جلّ وعلا : ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت/٣)

- كونه (قرآن) ، لأنه يقرأ

قول الله جلّ وعلا : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ سُنْقَرُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانُ مَشْهُودًا ﴾ أى : قراءته

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾ (١٧) ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْءَانَهُ ﴾ (١٨) (القيامة / ١٨.١٧)

قال ابن كثير . رحمه الله . : « ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾ أى فى صدرك

و«قرآنه» أى : أن تقرأه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ ﴾ أى : إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى

(١) الألفاظ فى اللغة العربية أربعة أنواع :

(أ) الألفاظ المترادفة : وهى ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، كأسد ، وليث ، وقسورة .

(ب) الألفاظ المتباينة : وهى الألفاظ المختلفة لمعانٍ مختلفة ، كالأرض وسماء .

(ج) الألفاظ المتواطئة : وهى ألفاظ تدل على معانٍ أو ذوات مختلفة بينها قدر من الاشتراك فى الأذهان لا

فى الخارج ، كزرقة السماء ، وزرقة الثوب ، وزرقة العين ، فإذا قال إنسان : «زرقة» أو «أزرق» فهم

السامع معنىً معيناً ، لوجود قدر من الاشتراك فى الذهن، ولكن كيفية كل ذات أو معنى فى الخارج

تختلف عن الأخرى .

(د) الألفاظ المشتركة : هى الألفاظ التى تدل على معانٍ مختلفة ليس بينها أى قدر من الاشتراك لا فى

الذهن، ولا فى الخارج، إلا التشابه فى اللفظ، كلفظ (عين) تدل على الجاسوس، وعلى عين الإنسان ،

وعين الماء ، وعلى الذهب .

﴿فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ﴾ أي : فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (١).

القرآن شرعاً : هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ المبدوء بفاتحة

الكتاب، المختوم بسورة الناس، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) ﴿الإنسان

/٢٣﴾، وقال : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢) ﴿يوسف/٢﴾ .

قال العلامة ابن خلدون - رحمه الله - : القرآن هو كلام الله المنزل على نبينا المکتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف، وتُنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من أشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة (٢).

وهذا المعنى أجمع عليه علماء المسلمين المعتبرين ، ولم يشذ إلا الرافضة، حيث ادعوا أن القرآن فيه نقص، وأنه حُذِفَ منه أشياء، وما ذلك إلا ليدسوا فيه كذبهم وافتراءاتهم .

قال ابن حزم في « الفصل » (٢ / ٨٠) :

« يرى الشيعة أن القرآن الكامل المحفوظ من أي تبديل هو عند أمير المؤمنين علي ، ثم أورثه الأئمة من بعده، وهو اليوم عند مهديهم المنتظر » .

فقرنوا بين مصحفهم وإمامهم ، وكلاهما غائب ، وضال لا حقيقة له ! (٣).

ثانياً : أنواع القصص في القرآن ، وتكراره ، وحكمته ، والعبرة منه .

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . دار مصر للطباعة . الفجالة . د.ت . (٤ / ٤٤٩) .

(٢) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون . ص (٤٠٢) .

(٣) سامح عباس الغنيمي . عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية . دار قمر الدولة . د.ت . ص (١٦٨) .

أنواع القصص فى القرآن الكريم :

(أ) من حيث التكرار وعدمه (ب) من حيث الموضوعية

المتتبع لقصص القرآن يجد أنه متعدد ، ومتنوع ، لذا يحسن بنا عند التكلم عن أنواع القصص فى القرآن أن نميِّز بين القصة من حيث تكرار القصص ، وموضوع القصص ، وتحت كل نوع من هذين النوعين أقسام وفوائد ، نوردها فيما يلى :

(أ) من حيث التكرار وعدمه:

(١) ما لا يأتى إلا مرة واحدة (٢) ما يأتى مكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة
مثل : قصة لقمان . أصحاب الكهف كقصة موسى وهارون - عليهما السلام -
والخضر .

إن مسألة تكرار القصص فى القرآن الكريم تأتى على ضربين كما سبق ، منها ما لا يتكرر بل يذكر مرة واحدة ، كقصة لقمان ، وأصحاب الكهف ، وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، ومنها ما يتكرر حسب ما تدعو إليه الحاجة ، وتقتضيه المصلحة ، فهو ليس تكراراً لا فائدة منه ، ولهذا كان أكثر القصص تكراراً قصة موسى . عليه السلام . ، لأن الحاجة دعت إلى ذلك ، قال السيوطى : قال بعضهم : ذكر الله موسى فى مائة وعشرين موضعاً من كتابه ، وقال ابن العربى فى القواصم : ذكر الله قصة نوح فى خمس وعشرين آية ، وقصة موسى فى تسعين آية^(١) فاليهود كانوا موجودين فى المدينة ، وقريبيين من قريش ، وكذلك النصارى فى نجران وغيرها ، ومع هذا فإن التكرار لا يكون على وجه واحد ، بل يختلف فى الطول والقصر ، واللين والشدّة ، وذكر بعض جوانب القصة فى موضع دون الآخر ، فمثلاً: نجد أقصر القصص ، وأشدّها ما جاء فى سورة القمر : فإن القصص قصير جداً ، لكن فيها قوارع عظيمة تختم كل واحدة بقوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر/ ١٥) ، وهذا شأن القصص المكيّ .

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣٩٤)

مثال آخر : هذا المثال أردت أن أبين به أن التكرار يأتي ليبين جوانب القصة في موضع دون الآخر، فتارة نجد أن الله - جل وعلا - يذكر قصة نشأة موسى وولادته وما فيها من عبر، وتارة يبرز لنا الإيمان إذا خالطت بشاشته ظلمة القلوب وكيف أنها تحيلها إلى نور وضياء ، يظهر ذلك في قصة سحرة فرعون مع فرعون ، فبعد أن ذهبوا إلى فرعون منقادين مذعنين ، تلوهم غبرة الحاجة، وقترة الذل لفرعون، وقالوا : ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) (الشعراء / ٤٤) ، إذا بهم بعد أن رأوا الحق ، وذاقوا حلاوة الإيمان، يصارحون فرعون اللئيم بما يسوءه ويحذره، فقالوا : ﴿فَافْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه / ٧٢) ، وهكذا نجد أن التكرار تكرر موجه لخدمة القضية التي يعالجها النص القرآني ، وليس تكراراً مفرغاً من توظيف ومضمون .

فائدة التكرار القصصي :

درسنا في المبحث السابق أنواع القصص القرآني ، وذكرنا أنها من حيث التكرار والموضوع نوعان، وهذا المبحث نعرض فيه بعض فوائد التكرار القصصي في القرآن الكريم، قال السيوطي - رحمه الله - : وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأفاصيص ، والإنذار في القرآن بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (١١٣ / طه) (١) ، وإليك بعضاً من هذه الفوائد :

(١) بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها :

ولذلك يكررها الله - عز وجل - اعتناءً بها، وتثبيتاً وترسيخاً للقلوب التي في الصدور (٢) مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية ، والعكس فيما أتى في السور المدنية ، وهذا من بلاغة القرآن ، مراعاة حال المخاطبين واحترام عقولهم وتوجهاتهم.

(٣) بيان بلاغة القرآن الكريم في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال ، لأن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو البلاغة .

(١) السيوطي . الإتقان . ص (٣٩١) .

(٤) ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله ، حيث تأتي هذه القصص متنوعة دون تناقض، وهذا إن دلّ فإنما يدل على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لأنه معلوم أن الكاذب يحاول جاهداً أن يجعل كلامه الثاني كالأول، حتى لا يتهم بالكذب، وغالب الكذابين إذا أرادوا أن يقصوا قصصاً، تجده متغائراً متناقضاً، أما القرآن فيخلو من هذا ، لأنه كلام الله -جل وعلا- ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.

(٥) توكيد هذه القصة لتثبت في قلوب الناس . (١)

وذكر السيوطي . رحمه الله . أن البدر بن جماعة ألف كتاباً سماه : « المقتنص في فوائد تكرار القصص » ، وذكر في تكرير القصص فوائد :

(١) أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ، وهذه عادة البلغاء .

(٢) أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ تقدّمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم آخرين ، وكذا سائر القصص .

(٣) ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة .

(٤) ومنها أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كرّرت القصص دون الأحكام .

(٥) ومنها أنه تعالى أنزل القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله ، بأيّ نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر عجزهم، بأن كرّر ذكر القصة في مواضع، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي : بأيّ نظم جاءوا، وبأيّ عبارة عبّروا .

(٦) ومنها أنه تحدّاهم فقال : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة/٢٣] ، فلو ذكرت القصة في موضع واحد، واكتفى بها لقال العربيّ : ايتونا أنتم بسورة من مثله ، فأنزل لها سبحانه وتعالى في تعداد السور دفعاً لحجّتهم من كل وجه .

(١) الشيخ ابن عثيمين . شرح أصول التفسير . (١٥١ . ١٥٢) .

(٧) ومنها أن القصة لما كرّرت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى إخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم (١).

ذكر من أنكر التكرار فى القصص القرآنى :

يرى الدكتور محمد مطنى أنه لا تكرر فى القصص القرآنى يشابه التكرار فى القصة التاريخية، ولكنه لم ينكر بالكلية، فقال : إن اعتقادنا أنه لا يوجد تكرر فى القصص القرآنى بمعنى المشابهة للتكرار فى القصة التاريخية أو الأدبية ، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، والقصة تتكون من الحدث والشخصية، وفى القصص التاريخية نلاحظ التركيز على الشخصية، فحينما تقرأ أى قصة تجد أنها تركز على شخصية أو مجموعة أشخاص من أول القصة إلى خاتمتها، أما فى القصص القرآنى، فنرى إعجازاً آخر يضاف إلى إعجازات القرآن الكثيرة، وهو الملائمة بين الحدث والشخصية، لذلك كان التكرار غير مقصود لذاته، بل جاء لإيراد معنى آخر فى سياق القصة نفسها (٢).

ويقول سيد قطب - رحمه الله - : قد يحسب أناس أن هناك تكراراً فى القصص القرآنى ، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها فى صور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة تكررت فى صورة واحدة من ناحية القدر الذى يساق وطريقة الأداء فى السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفى حقيقة التكرار (٣) .

الحكمة من عدم تكرير بعض القصص القرآنية :

أورد السيوطى . رحمه الله . هذا السؤال وأجاب عنه من عدة أوجه، فقال : وقد سئل : ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً فى موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأجاب بوجوه :

أحدها : أن فيها تشبيب النسوة به ، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر، وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

(١) انظر : السيوطى . الإتقان . (٣٩٤) .

(٢) انظر : د. محمد مطنى . سورة القصص . دراسة تحليلية . (٤٥) .

(٣) انظر : سيد قطب . فى ظلال القرآن . (١ / ٦٤) .

ثانياً : أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وهود ، وصالح وغيرهم، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

ثالثها : قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني : إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب كأن النبي ﷺ قال لهم : إنه كان من تلقاء نفسي ، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص .

قال السيوطي : وظهر لي جواب رابع : وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقصّ عليهم ، كما رواه الحاكم في مستدركه، فنزلت مبسوطه تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها .

جواب خامس : وهو أقوى ما يجاب به ، أن قصص الأنبياء إنما كررت ؛ لأن المقصود بها أفادة إهلاك من كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ - فكلما كذبوا أنزلت قصة منكرة بحلول العذاب، كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى في آيات : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنْتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال/ ٣٨]

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ [الأنعام/ ٦] ، وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك ، وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح .

يقول السيوطي . رحمه الله . فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ، وليس من قبيل ما ذكرت .

(قلت) : الأولى في سورة (مريم) وهي مكية ، أنزلت خطاباً لأهل مكة .
والثانية : في سورة آل عمران ، وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة ^(١).

(١) السيوطي . الإتقان . ص (٣٩٤ . ٣٩٥) .

فوائد التكرار عند الباقلاني

وقد ذكر الإمام الباقلاني بعضاً من فوائد التكرار في كتابه الانتصار للقرآن ، فقال :

(١) فمنها أن الله سبحانه لما خاطب العرب بلسانها على وجه ما تستعملها في خطابها ، وكانت تستجيز الإطالة والتكرار تارة إذا ظنوا ذلك أبلغ في مرادها وأنجع ، وتقتصر على الاختصار أخرى في مواطن الاختصار ، خاطبهم الله سبحانه على ما جرت عليه عادتهم ، ثم ساق الأمثلة .

(٢) ووجه آخر في حسن التكرار من الله - عز وجل - ، وهو أن في ذلك مرة بعد مرة من التثبيت لرسوله عليه السلام ، والمؤمنين، والمواعظة والتخويف لهم ، والرغبة في طاعة الله والانزجار عن معصيته عند تكرار الكلام، وإعادة القصص وضرب الأمثال ما ليس في المرة الواحدة .

(٣) أنزل الله المتكرر في أوقات متغايرة ، وأسباب مختلفة ، فحسن منه تكرار القصة للزجر والموعظة ، كما يحسن ذلك من الخطيب إذا خطب وتكلم في المحافل ويوم المجتمع، ودعا إلى حقن الدماء ونصرة الجار، وإنما يستثقل التكرار إذا كان في موقف واحد وسبب واحد.

(٤) ومن الفوائد في تكرار القصة والقصص المتماثلة بالألفاظ المختلفة عن الوزن الواحد، أنه تعالى إنما كرر ذلك لنلا نقول قريش أو بعضها للنبي ﷺ : كيف تتحدانا أن نأتى بمثل هذا الكلام الذي حُكِيت به قصة نوح وموسى وإبراهيم ، وليس له لفظ يُحكى به ويورده من البحر والوزن الذي أوردته إلا اللفظ الذي بدأت به وسعيت إليه، فإن أوردناه بعينه قلت : هذا نفس ما تلوته عليكم وتحديثكم بمثله، وإن طالبتنا بمحاولة لفظٍ غيره، فليس للقصة والمعنى الذي عبرت عنه بهذا الوزن من الكلام لفظ غير الذي أوردته وسبقت إليه، فكأنك تطالبنا بالمحال، وهذه شبهة كما ترى، فأراد الله تعالى حسم أطماع العرب في التعلق بذلك فكرر القصة الواحدة والقصص المتماثلة بألفاظ مختلفة من بحر واحد ، وعلى وزن واحد ، هو وزن القرآن الخارج من جميع النظوم والأوزان ليعلمهم اقتدراه وعظم البلاغة ويعرفهم عجزهم عن ذلك .

ثم ساق رحمه الله الأدلة في الرد على بعض الإشكالات .^(١)

(١) انظر : الباقلاني . الانتصار للقرآن . (٢ / ٨٠٠ . ٨٠٨) باختصار .

(ب) أنواع القصص القرآني من حيث الموضوع :

(١) قسم عن (٢) قسم عن أفراد وطوائف (٣) قسم عن حوادث وأقوام
الأنبياء والرسل جرى لهم ما فيه عبرة لنا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) قسم عن الأنبياء والمرسلين . عليهم الصلاة والسلام . وما جرى لهم مع المؤمنين بهم
والكافرين ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (إبراهيم ٩) ، وفي هذا القصص عبر
عظيمة ، عبر للمؤمنين ، وعبر للمكذبين .

(٢) قسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة ، فنقله الله تعالى عنهم ، وكان هذا
النوع قبل بعثة النبي ﷺ ، كقصة مريم ، وقصتها مبسوبة في سورة مريم ، وفيها عبر كثيرة ،
نذكر منها : قوله تعالى : ﴿ وَهَزَيَّا إِلَيْكَ النَّخْلَ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم ٢٥)
(مريم ٢٥) .

وكقصة لقمان مع ابنه وهو يعظه ، وهي قصة عظيمة فيها فوائد جمة ، قال تعالى :
﴿ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٦) يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ
إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) وَلَا تَصْعَرَ حَذَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١٩)
(لقمان . ١٦ : ١٩) ، وكذلك قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة
يأجوج ومأجوج وأصحاب الفيل ، وأصحاب الأخدود ، إلخ .

(٣) حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ :

كقصة بدر ، وقصة أحد ، والأحزاب ، وكقصة زيد بن حارثة ومدحه والثناء عليه في القرآن
الكريم ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (الأحزاب ٣٧) وفي مقابل ذلك
قصة أبي لهب ، وهو عم الرسول ﷺ ، وذمه والقدح فيه ، قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
 الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴿ (سورة المسد) ، وبين هاتين القصتين مفارقة
 عجيبة ، عم الرسول ﷺ . في النار ويذم ، ومولى النبي ﷺ في الجنة ويثنى عليه ، وتحقيق
 ذلك أن هداية التوفيق بيدى الله - عز وجل - وفقط ، قال عز من قائل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ
 أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (القصص ٥٦) .

الحِكم والعبر من القصص القرآنى :

للقصص فى القرآن الكريم حكم كثيرة عظيمة منها :

- ١) بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص ، فالله - جلَّ وعلا - لا يفعل فعلاً ولا يقدر
 قدراً ، ولا يقص قصصاً إلا وفيه حكمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ
 مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ⑤ ﴾ [القمر / ٤ - ٥] وقوله تعالى :
 ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف / ١١١] .
- ٢) بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا
 أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [هود / ١٠١] .
- ٣) بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ بَخَيْنَهُمْ فِسْحَرٍ ③٤ نِعْمَةً مِّنْ
 عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ③٥ ﴾ [القمر / ٣٤ - ٣٥] .
- ٤) تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له ، لقوله تعالى ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ③٥ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ③٥ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ
 كَانَتْ نَكِيرٍ ③٦ ﴾ [فاطر / ٢٥ - ٢٦] ولهذا تقول الخنساء :
 وما يبيكون مثل أخى ولكن * أسلَى النفس عنه بالتأسى .^(١)

(١) الخنساء . ديوان الخنساء . شرحه : ثعلب أبو العباس النحوى . تحقيق : د. أنور أبو سويلم .

دار عمار للنشر . عمان . ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨ م . بيت رقم (١١) . ص (٣٢٧) .

وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في قوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف / ٣٩] ، وهذا يدل على أن اشتراك الناس في العذاب يخفف عليهم ، لكن يوم القيامة فلا .

(٥) ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه : وذلك إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين ، وانتصار من أمروا بالجهاد ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآمِنِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٨]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوهُوَ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم / ٤٧]

وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِكَ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود / ١٢٠] .

(٦) تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ [محمد / ١٠] ، ولكن الكافرين دأبهم أنهم كالأنعام بل هم أضل ، ولا يعتبرون ، بلي يعتبر بهم غيرهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَمَدَّ بِرِينَ ﴾ [النمل / ٨٠ - ٨١]

وقوله تعالى : ﴿ فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف / ١٧٦] .

(٧) إثبات رسالة النبي ﷺ : فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله - عز وجل - ، لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ عَاقِبَةَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [هود / ٤٩]

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحُوا وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [إبراهيم / ٩] ^(١) .

(٨) التحدى العظيم لأهل الكتاب :

(١) ابن عثيمين . شرح أصول التفسير (ص) : [١٤٦ . ١٤٧] بتصرف .

لأن أهل الكتاب كانوا فى ذلك العصر لهم معرفة بأخبار الأنبياء لاسيما أحبارهم ورهبانهم، فقطع القرآن حجتهم على المسلمين، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هود / ٤٩] فكان حملة القرآن أحق بأن يوصفوا بالعلم الذى وصفت به أحبار اليهود ، فانقطعت صفة الأمية عن المسلمين فى نظر اليهود (١).

(٩) هناك فائدة أخرى يمكن أن يفيد منها التربويون، من خلال دراسة المنهج التربوى فى القصص القرآنى .

(١٠) وكذلك يمكن الاستفادة من القصص القرآنى لأهل الاقتصاد من خلال دراسة المعالجة الاقتصادية كما فى قصة سيدنا يوسف . عليه السلام . مثلاً ، أو اقتصاد قارون الجامع بين العلم والكفر ، كالاقتصاد العولمة مثلاً .

(١١) والقادة كذلك لا غنى لهم عن دراسة القصص القرآنى من خلال إدارة بعض الأنبياء لشؤون الناس، إضافة إلى مهمة النبوة، ولهم فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام المثل الأعلى ، وكيف استطاع الرسول ﷺ فى زمن بسيط من أن يجعل كل جزيرة العرب تحت لوائه، قال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

(١٢) ويتعلم الشباب من قصة سيدنا يوسف عليه السلام العفاف وكيفية كبح الشهوات، وكذلك من حياء ابنة شعيب فى سورة القصص فى قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص/ ٢٥] .

(١٣) وفى القصص تسليية للمبتلين ، فقد ابتلى سيدنا أيوب عليه السلام فى المال والأولاد، وصبر حتى عوفي (٢).

(١) ابن عاشور . التحرير والتنوير - (١ / ٦٥) .

(٢) انظر : د . مطنى . سورة القصص . دراسة تحليلية . ص (٤٩) .

ثالثاً : بيئة السورة

الجو الذى نزلت فيه سورة القصص :

من المهم أن نعرف الظرف والجو الذى نزلت فيه السورة الكريمة، لأن ذلك يفتح أمامنا الباب الواسع أمام معرفة أغراض السورة وأهدافها التى من أجلها نزلت، ومعلوم أن السورة مكية، وأن المسلمين وقتئذٍ قلة مستضعفون ، وقد لاقى رسول الله ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - ألواناً وصنوفاً من العذاب، مات من مات تحت وطأة العذاب، وعُذِّب من عذب، وسلم من سلم ، فى حين نجد أن تَجَمُّع المال من ناحية أخرى فى يد أساطين المال من صناديد قريش ، والمسلمون لا يملكون سوى القلوب العامرة بالإيمان، يصارعون بها كل جبروت قريش، وفى الحقيقة ما أشبه الليلة بالبارحة، فحال المسلمين فى هذه المرحلة بالجملة أشبه بحال أصحاب موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه، ويمكن إجمال أوجه الشبه فى النقاط التالية :

(١) علو وبغى يقابله استضعاف وصبر :

فقريش بيدها مفاتيح القوة، والكفار هم عدد الناس وقتئذٍ ، وفى يدهم السلطة والجاه، والمسلمون على النقيض من ذلك، فمارست قريش على المسلمين كل أصناف البغى والعلو متمثلاً فى :

(الاستهزاء) ، قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة / ١] وقال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩] وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ

أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ ﴿٣٣﴾

[المطففين / ٢٩ - ٣٣]

(التعذيب) : وهذا شمل المسلمين جميعهم بما فيهم النبي محمد ﷺ ، ولقد ضرب بلال وخباب وعَمار بن ياسر وأبوه وأمه - رضى الله عنهم - أروع الأمثلة فى الصبر وقوة الإيمان التى أغاظت صناديد قريش وقهرتهم .

(القتل) : ولم يقف الأمر عند التعذيب فقط ، بل امتدت الأيدي العابثة إلى قتل المستضعفين كأمثال ياسر وسمية وزوجه - رضى الله عنهما - .

(الحصار الاقتصادى) : ولم يقف الأمر عند هذا فحسب، بل امتد بهم الحقد والغیظ إلى أنهم أرادوا أن يقتلوا المسلمين جميعاً بما فيهم أصحاب العائلات الكبيرة، وذوى الحسب والنسب، فلم

يجدوا أفضل من فرض الحصار عليهم ، وبالفعل فعلوا هذه المؤامرة الجائرة على المسلمين ، ودخل النبي ﷺ - ومعهم الصحابة - رضى الله عنهم - ثلاث سنين فى شعب أبى طالب . (طلب المهاجرين الفارين بدينهم) : بل ولم يكتفوا بهذا ، حتى تعدى بهم البغى والطغيان إلى أن أرسلوا رجالاً فى طلبهم من الحبشة ، ولكن الله - جل وعلا - رد كيدهم فى نحركم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وهم فى هذا كله ينتهجون نهج فرعون حذو النعل بالنعل .

(٢) التلازم بين فرعون مصر وفرعون الأمة (أبو جهل) :

فى هذه الظروف التى نزلت فيها هذه السورة الكريمة، نجد رجلاً عاتياً باغياً، لا يرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة، إنه أبو جهل عمرو بن هشام، الذى لُقّب بفرعون هذه الأمة لعلوه، وبغيه بغير الحق، والمتأمل فى حال هذا الظالم وقتئذ يجد تلازماً وتوافقاً كبيراً بين سلوكه وسلوك فرعون فهذا الظالم كان يكنى قبل الإسلام بـ (أبو الحكم) إشارة إلى رجاحة عقله، فلما جاء الإسلام وعاند وكابر، كناه النبي ﷺ (بأبى جهل) بسبب صده عن الدين، وهذا لا يدل إلا على الجهل والسفه .

وكذلك نجد فرعون بالإضافة إلى علوه وفساده، يريد أن يصبغ نفسه بصبغة العاقل الراشد، فيقول لقومه فى سورة القصص :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصص / ٣٨] وهو المعنى نفسه الذى صرح به فرعون فى مكان آخر ، فقال : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر / ٢٩] .

(٣) التلازم بين قارون وأساطين الأموال من قريش :

فالمال كان الدافع الرئيس الذى دفع قارون على الطغيان والبغى فى الأرض بغير الحق، وهو نفسه الذى قوى صناديد قريش، وقد سجل القرآن هذه الجزئية فى غير موضع، قال تعالى : ﴿

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۚ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، (٣) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا

فِي الْخُطْمَةِ (٤) ﴾ [الهمة / ١-٤] وقال تعالى عن الوليد بن المغيرة، وهو من هو فى الإجماع

والصدّ عن سبيل الله، وفى جمع المال : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) ﴾

﴿ [المدثر / ١١-١٢] وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدْهُنُوكَ (٩) وَلَا

نُطْعَ كُلِّ حَلَاْفٍ مَّهِيْنٍ ﴿١٠﴾ هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيْمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيْمٍ ﴿١٢﴾ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيْمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ
كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِيْنٍ ﴿١٤﴾ [القلم / ٨ - ١٤] .

ومن ثم فإننا نرى تلازماً وتشابهاً واضحاً بين الظروف التي أحاطت بالمسلمين، مع الظروف
والجو الذي مر به نبي الله موسى - عليه السلام - مع قومه، حيث تجد فرعون وكفار قريش قد
استضعفوا المؤمنين وساموهم سوء العذاب، واستخدموا في ذلك كل ما أتيح لهم من أسباب، على
رأسها المال والجاه ، ولكن الله - عزوجل - غالب على أمره ، لذلك جاءت البشـرى للمسلمين
بالتـمكين في الأرض والغلبة على أعدائهم، وهم في مكة لا يزالون تحت وطأة العذاب والقهر،
وهي الظروف نفسها التي بُشِّر فيها بنو إسرائيل، وجاءت قصة موسى - عليه السلام - ،
لتشـدح همم الصحابة، ولتؤكد لهم أن وعد الله حق، وأن نصر الله قريب، فالخلاصة أن قصة
موسى - عليه السلام - جمعت بين التسلية والتوكيد بوعد الله الحق .

التعريف بالسورة

(١) مكيتهـا

سورة القصص (مكية) :

قال الحافظ جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في الإتيان : « القصص : استثنى منها »
الذين آتيناهم الكتاب « إلى قوله : « الجاهلين » [آية / ٥٢ - ٥٥] فقد أخرج الطبراني عن
ابن عباس أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا وقعة أحد ^(١) ،
وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ [آية / ٨٥] الآية ، لما سيأتي ^(٢) ثم ذكر في
موضع آخر أنها نزلت بالجحفة في سفر الهجرة، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك ^(٣) .

(٢) عدد آياتها :

عدد آياتها ثمان وثمانون آية .

سور القصص من المثني :

ذكر السيوطي - رحمه الله - أن القرآن الكريم يقسم إلى أربعة أقسام من حيث الطول والقصر .

(١) أي أنها نزلت بالمدينة ، لأن غزوة أحد سنة ٣ هجرية .

(٢) السيوطي . الإتيان . ص (٢٢) .

(٣) نفسه - ص (٢٨) .

الأول : السبع الطوال : أولها البقرة وآخرها براءة ، وذكر أقوالاً أخرى .

الثانى : المئون : وهى ما وليها ، سميت بذلك ، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، وعلى هذا التقدير ، فالقصص تقارب المائة، فالعلم عند الله .

الثالث : المثنائى :

المثنائى : ما ولى المئين، لأنها ثنَّتها ، أى كانت بعدها، فهى لها ثوانٍ والمئون لها أوائل، وقال الفراء : هى السورة التى آيها أقل من مائة، لأنها ثنَّتى أكثر مما يُثنَّى الطُّولُ والمئون، وقيل : لتثنيته الأمثال فيها بالعبر والخبر، حكاه النكزائى^(١).

الرابع : المفصل أو المحكم :

وهو ما ولى المثنائى من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً ، كما روى البخارى عن سعيد بن جبير، قال: إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم^(٢).

هذا وقد ذكر السيوطى - رحمه الله - فائدة للمفصل، وأنه على ثلاثة أقسام: طَوَالٌ، وأَوْسَاطٌ، وقَصَارٌ، قال ابن معن : فطواله إلى (عم) ، وأوساطه منها إلى (الضحى) ، ومنها إلى آخر قصاره ، هذا أقرب ما قيل فيه^(٣).

(أ) سبب تسميتها :

سبق القول إن الأصل فى مسألة تسمية سور القرآن الكريم هو (التوقيف) ، وهو الراجح . والله أعلم . بيد أن هذا لا يمنع من استنباط العلل التى قد تتسق وموضوع السورة ، وهذا ما يدفعنا بقوة إلى القول بأن هذا المبحث اجتهدى بالدرجة الأولى ، الخطأ فيه وارد قبل الصواب، والذى حملنى على هذا هو ما ذكرته آنفاً فى مبحث : (ضوابط ومعايير تسمية السورة القرآنية) ورجحت القول بالتوقيف فى تسميتها قياساً أيضاً على توخى الصحابة . رضوان الله عليهم .
التوقف وتتبع الآثار فى مسألتى ترتيب الآيات وترتيب السور و القراءة^(٤) وذلك للاتفاق فى

(١) وعلى قول الفراء ، فالقصص تندرج فى قسم المثنائى ، والله أعلم .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٨٧) باختصار وتصرف .

(٣) نفسه . ص (٨٨) .

(٤) قال ابن هشام فى معرض كلامه عن الاستثناء التام غير الموجب : " لأن مرجع القراءة الرواية لا رأى

العلة الجامعة بينهما ، ألا وهى التعبد، قال السيوطى: و النصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهه فيه ، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشى فى البرهان، وأبو جعفر بن الزبير فى مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه . ﷺ . وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين . انتهى ، وسيأتى من نصوص العلماء ما يدل عليه ، وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق : (كنا عند النبى ﷺ ، نؤلف القرآن من الرقاع) ، ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس . رضى الله عنهما . قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثنى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر . بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتوها فى السبع الطول؟ فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل فى المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ . ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنتم بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها فى السبع الطول ^(١) ، إلى أن قال : ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير ، قال : قلت لعثمان :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ البقرة (٢٣٤) قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها ، أو تدعها ؟ فقال : يا ابن أخى لا أغير شيئاً منه من مكانه ^(٢) ، قال الباقلانى فى الانتصار للقرآن : (باب) : الكشف عن وجوب ترتيب آيات السور وأن ذلك إنما حصل بالنص والتوقيف دون الاجتهاد ، وأنه ليس لأحد أن يخلط آيات السور بغيرها ، ولا يضع مكان الآية غيرها مما قبلها أو بعدها ^(٣) ، وأما مسألة التوقيف فى ترتيب السور فرجحه ولى الدين الملوى فى معرض كلامه عن مناسبة الآيات والسور ، ونقل السيوطى عنه قوله : قد وهم من قال : لا

(١) هذا الأثر ضعيف ، ضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى ضعيف أبى داود رقم (٧٨٦) ، وضعيف الترمذى (٣٠٨٦) ، لكن هذا لا يقدر فى أصالة التوقيف عند الصحابة - رضى الله عنهم - فى مسائل التعبد .

(٢) انظر : السيوطى . الإتيقان ص (٤٣ . ٤٤)

(٣) انظر : الباقلانى . الانتصار للقرآن . تحقيق : د . محمد عصام القضاة . دار الفتح . عمان ودار ابن

حزم . بيروت . ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م . (١ / ٢٩٣)

يطلب للآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المفرقة . وهو فى هذا يرد على الشيخ
العز بن عبد السلام . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة
ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ ، مرتبة سوره كلها وآياته
بالتوقيف^(١)

(قلت) : غير أننا لا نستطيع أن نجزم بالتوقيف فى ترتيب السور نظراً لوجود الاختلاف فى
ترتيبها فى مصاحف الصحابة ، وهو ما قرره الباقلانى فى (الانتصار للقرآن) وأطال النفس فى
الرد على الأقوال والإشكالات ، وانتصر إلى القول بعدم التوقيف ، وكان من أبرز استدلالاته أنا
لا نعلم أحداً قال : إن ترتيب ذلك واجب كما فى الصلوات المفروضة وغيرها ، وفى تلقين القرآن
ودرسه ، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة^(٢)
ولا مجال أمامنا للبحث عن علة التسمية قبل معرفة المعنى الجذرى للكلمة ، لذلك نبداً بعرض
المعنى لجذر الكلمة ، ثم نتبع ورود هذه الكلمة فى كتاب الله تعالى .

قال الراغب الأصفهاني :

(قَصَصَ) : القَصُّ تتبع الأثر ، يقال : قَصَصْتُ أثره ، والقَصَصُ : الأثر ، قال تعالى :
﴿ فَأَرْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (الكهف : ٦٤) ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ (القصص : ١١)
ومنه قيل لما يبقى من الكلاء فَيَتَّبَعُ أثره قصيص .
و (القصص) : الأخبار المتتبعة ، قال تعالى : « لهو القصص الحق » . « فى قصصهم عبرة
» . « وقصَّ عليه القصص » . « نقص عليك أحسن القصص » . « فلنقصنَّ عليهم بعلم » . «
يقصُّ على بنى إسرائيل » . « فاقصص القصص »^(٣) .

والقصة لغة من (القَصُّ) ، فعل القاصُّ إذا قَصَّ القَصَصَ ، والقصة معروفة ، ويقال : فى
رأسه قصة ، يعنى جملة من الكلام ، ومنه قوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص ،
أى : بينا لك أحسن التبيان ، ويقال : قصصت الشيء : إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ، ومنه

(١) انظر : السيوطى الإتيقان . ص (٤٥٣ . ٤٥٤) .

(٢) انظر : الباقلانى . المصدر السابق (١ / ٢٧٨ . ٢٩٢) باختصار .

(٣) الراغب الأصفهاني . المفردات فى غريب القرآن . مادة (قصص) . ص (٤٠٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ أى : اتبعى أثره ، وقد يأتى القص ، والقصص ، والقصص : الصدر من كل شيء ، وقيل : هو وسطه (١) .

وجاء فى لسان العرب لابن منظور ، القصة : الخبر ، وهو القصص ، وقصّ على خبره : يقصّه قصّاً وقصصاً ، والقصص : بكسر القاف جمع القصة التى تكتب ، وتَقَصَّصَ الخبر : تتبعه ، والقصة الأمر والحديث ، واقتصصت الحديث : رويته على وجه ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ويقال : خرج فلان قصصاً فى أثر فلان ، وقصّاً ، وذلك إذا اقتص أثره (٢) .

وقيل : إنه المصدر ، وقيل : إنه مفعول به ، وعلى القول الأول يكون المعنى « نحن نقص عليك أحسن القصص » أى : نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص ، كما يقال : نحن نكلمك أحسن التكليم ، ونبين لك أحسن البيان ، وعلى القول الثانى ، يكون المعنى : نحن نقص عليك أحسن ما يقص ، أى : أحسن الأخبار المقصوصات كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ ، أى : المراد خبرهم ونبأهم وحديثهم ، وليس المراد مجرد المصدر ، فالقولان متلازمان فى المعنى ، ولهذا يجوز أن تكون كلمة (القصص) قد جمعت بين معنى المصدر ، ومعنى المفعول به ، لأن فيه كلا المعنيين (٣) .

و (قص) الشئ : تتبّع أثره ، ومنه فى التنزيل العزيز : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ ويقال : قصّ أثره : قصّاً وقصصاً .

وخرج فلان قصّاً فى إثر فلان .

و (قص) القصة : رواها ، ويقال : قصّ عليه الرؤيا : أخبره بها ، وقصّ عليه خبره : أورده على وجهه ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (٤) .

آيات قرآنية ورد فيها مادة (قص) بمعنى الخبر أو الإخبار :

■ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢)

(١) الزمخشري . أساس البلاغة - تحقيق : محمد باسل . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م . (٨٢ / ٢) .

(٢) ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . لبنان - ١٩٦٨ م . مادة (قصص) - (٧٥٠ / ٧) .

(٣) انظر : أبو حيان - البحر المحيط - سورة يوسف (٦ / ٢٣٥) بتصرف .

(٤) المعجم الوسيط . مادة (قص) .

(آل عمران ٦٢) .

■ قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (النساء ١٦٤) .

■ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمُّ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴾ (الأنعام ٥٧)

■ قال تعالى : ﴿ يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام ١٣٠)

■ قال تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (الأعراف ٧)

■ قال تعالى : ﴿ يَبْنَىٰءَ آدَمُ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف ٣٥)

■ قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٠١)

■ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ١٧٦)

■ قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (هود ١٠٠)

■ قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠)

■ قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف ٣)

■ قال تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥ ﴾ (يوسف ٥)

■ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١ ﴾ (يوسف ١١١)

■ قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٨ ﴾ (النحل ١١٨)

■ قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣ ﴾ (الكهف ١٣)

■ قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ٩٩ ﴾ (طه ٩٩)

■ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٧٦ ﴾ (النمل ٧٦)

■ قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبَىٰ يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٥ ﴾ (القصص ٢٥)

■ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ٧٨ ﴾ (غافر ٧٨)

آيات قرآنية وردت فيها مادة (قص) بمعنى التتبع :

■ قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّ إِلَىٰ ظَاهِرِهِمَا قَصَصًا ٦٤ ﴾ (الكهف ٦٤)

■ قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ ﴾ (القصص ١١)

النتيجة : نستطيع أن نستنتج مما سبق أن للقصص ثلاثة معانٍ :

الأول : التتبع للأثر ، وهذا علم من آية (الكهف / ٦٤) ، وآية (القصص / ١١) .

الثاني : الرواية للخبر والقصة نفسها ، وهذا معلوم من باقى الآيات السابقة .

الثالث : القصص العظيم الشامل ، وذلك لأن « أل » قد تأتى للاستغراق ، فيكون المعنى القصص الذى استغرق قواعد وفنون القصص .

قال ابن هشام - رحمه الله - : « وتنقسم « أل » المعرفة إلى ثلاثة أقسام ، وذلك أنها إما لتعريف العهد ، أو لتعريف الجنس ، أو للاستغراق ... وأما التى للاستغراق فعلى قسمين ، لأن الاستغراق إما أن يكون باعتبار حقيقة الأفراد أو باعتبار صفات الأفراد ، فالأول نحو : « وخلق الإنسان ضعيفاً » أى كل واحد من جنس الإنسان ضعيف ، والثانى نحو قولك : « أنت الرجل » أى الجامع لصفات الرجال المحمودة »^(١)

« قلت » : ولا مشاحة أن يكون المعنى شاملاً للثلاثة السابقة ، فالقصص : هو الرواية للقصة ، وهو القصص العظيم الشمولى ، الذى يتتبع الآثار الحسية والمعنوية لأطراف الرواية وشخصها .

فى ضوء ما سبق فقد يكون سبب تسمية سورة القصص واحداً مما يلى :

(١) ما أشرت إليه من اشتمالها على المعانى اللغوية السابقة . (التتبع للأثر . الرواية للخبر . القصص العظيم) .

(٢) وقد يكون لاشتمالها على كلمة القصص فى قوله تعالى : ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ ، فهى قصص موسى - عليه السلام - وهو فى مصر مع المصريين ، وليس قصصه مع فرعون وقومه فحسب ، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه فى تسمية السورة باسم القصص »^(٢)

(١) ابن هشام الأنصارى . شرح قطر الندى وبل الصدى . تحقيق : ح . الفاخورى بمؤازرة الدكتور وفاء . دار الجيل . بيروت . د.ت (١٠٨ . ١٠٩) .

(٢) محمود شلتوت . إلى القرآن الكريم . دار الهلال . د.ت . ص (١١١) .

(٣) وقد يكون بدلالة قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الدال على نجاة من هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء ، اعتباراً
بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين ، وهلاك الباقيين بمكان الأعداء (١) .

قلت :

والأصل فى هذا كله التوقيف ، بيد أن المتتبع لكثير من سور الكتاب العزيز يجد أن سبب
التسمية بدلالة لفظة عامة، قد تكون مكررة أو غريبة . أى طريفة . ثم تخصص بالتسمية ،
وهذا واضح فى سورة القصص ، والله أعلم .

(ب) ترتيب السورة بين سور القرآن الكريم ، وأسباب نزول بعض آيها :

- ترتيبها

ترتيب سورة القصص فى المصحف هو الثامن والعشرون، ويأتى قبلها سورة النمل، ويعدها
سورة العنكبوت، وثلاثتهم مكية .
قال البيهقى فى دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا
محمد بن إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى ،
حدثنا على بن الحسين بن واقد، عن أبيه ، حدثنى يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن بن أبى
الحسن قالوا: أنزل الله من القرآن بمكة : " اقرأ باسم ربك ... " وذكر النمل والقصص والعنكبوت
(٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمى . محاسن التأويل المسمى (تفسير القاسمى) - تصحيح وتعليق : محمد

فؤاد عبد الباقي . عيسى البابى الحلبي - ١٩٩٥ م . (١٣ / ٦٩٥) .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (١٣) . والحديث رواه البيهقى - دلائل النبوة - باب : ذكر السور التى نزلت

بمكة والتى نزلت بالمدينة - (٧ / ١٤٢) .

- أسباب نزول بعض آيها :

الآية رقم (٥١) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص / ٥١-٥٢]

قال السيوطي . رحمه الله . أخرج الطبراني وابن جرير عن رفاعه القرظي ، قال : نزلت

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ في عشرة أنا أحدهم .

وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعه قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب ، منهم رفاعه . يعني

أباه . إلى النبي ﷺ فَأَمِنُوا فَأَوْدُوا ، فنزلت : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الآية .

وأخرج عن قتادة ، قال : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق ، حتى

بعث الله محمداً ﷺ فَأَمِنُوا ، فمنهم عثمان وعبد الله بن سلام ^(١) .

قال محدث الديار اليمنية الشيخ مقبل بن هادي الوادعي . رحمه الله تعالى . :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥١) [القصص / ٥١] قال ابن جرير

(٨٨ / ٢٠) : حدثني بشر بن آدم ، قال : حدثني عفان بن مسلم ، قال حدثني حماد بن سلمة قال

: حدثنا عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعة ، قال : نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم : ﴿

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥١) [القصص ٥١] .

الحديث : أخرجه الطبراني (٤٦ / ٥ ، ٤٧) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »

(٨٨ / ٧) : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل ، رجاله ثقات ، وهو هذا ، والآخر منقطع

الإسناد ^(٢) .

الآية رقم (٥٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُتَّهَدِينَ ﴾ (٥٦) [القصص / ٥٦]

(١) السيوطي . لباب النقول في أسباب النزول . سورة القصص . ص . (١٥٠) . والحديث رواه الطبراني -

المعجم الكبير - حديث (٤٥٦٣) - ص (٥ / ٥٣) - وأخرجه ابن حجر - فتح الباري - (قوله : باب

تعليم الرجل أمته وأهله) - (١ / ١٩١) وهو حديث صحيح .

(٢) الشيخ مقبل بن هادي الوادعي . الصحيح المسند من أسباب النزول . دار الحرمين . القاهرة . ١٤٢٤ هـ .

٢٠٠٣ م . سورة القصص . ص (٢١٤) .

قال الإمام مسلم . رحمه الله تعالى . فى صحيحه . كتاب الإيمان . باب : ما نزل فى شأن أبى طالب : « حدثنا : محمد بن عبّاد وابن أبى عمر قالا : حدثنا مروان عن يزيد وهو ابن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - لعمة عند الموت : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فأبى فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية .

وقال : « حدثنا : محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم الأشجعى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - لعمة : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » قال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون : إنما حملته على ذلك الجزع ، لأقررتُ بها عينك ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

قال الإمام النووى . رحمه الله تعالى . :

وأما قوله - عزوجل - : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص / ٥٦] ، فقد أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب ، وكذا نقل إجماعهم على هذا الزجاج وغيره ، وهى عامة ، فإنه لا يهدى ولا يضل إلا الله تعالى ، قال الفراء وغيره : قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ يكون على وجهين ، أحدهما ، معناه من أحببته لقربته ، والثانى : من أحببت أن يهتدى ، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم :

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

قال الإمام السيوطى . رحمه الله تعالى . :

أسباب نزول الآية : أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعمة : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة ، قال : لولا أن تعيرنى قريش ، يقلن : إنه حملته على ذلك الجزع لأقررت بها عينك » فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

(١) النووى . شرح صحيح مسلم . دار الخير . (بيروت . دمشق) . ط ٥ : - ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م . إعداد

مجموعة أساتذة مختصين بإشراف : على عبد الحميد أبو الخير . تقديم وتقرىظ د . وهبة الزحيلي كتاب

الإيمان (١ / ١٧٥ . ١٧٦) . حديث رقم (٢٥) .

(٢) السابق . كتاب الإيمان . (١ / ١٧٥) .

وأخرج النسائي وابن عساكر في تاريخ دمشق بسند جيد عن أبي سعيد بن رافع قال : سألت ابن عمر عن هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أفى أبى جهل وأبى طالب ؟ قال : نعم ^(١) .
قال الإمام أبو الحسن النيسابورى . رحمه الله تعالى . :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى قال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد ابن خمرويه قال : أخبرنا على بن محمد الخزاعى قال : أخبرنا أبو اليمان الحكم بن رافع قال : أخبرنى شعيب عن الزهري قال : أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها ويعاودانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » ، فأنزل الله

- عز وجل - : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾
[التوبة / ١١٣]

الآية ، وأنزل فى أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾
[القصص / ٥٦] ^(٢) رواه البخارى عن أبى اليمان ورواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس عن الزهري ^(٣) .

الآية رقم (٥٧) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
[القصص / ٥٧] أخرج ابن جرير الطبرى عن طريق العوفى عن ابن عباس . رضى الله عنهما . أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ . إن نتبعك تخطفنا الناس ، فنزلت ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ الآية .

(١) السيوطى . لباب النقول فى أسباب النزول . سورة القصص . ص (١٥٠) .

(٢) رواه البخارى . كتاب المناقب . باب قصة أبى طالب برقم (٣٨٨٤) وأطرافه : [١٣٦٠ ، ٤٦٧٥ ، ٤٧٧٢] ، ومسلم فى كتاب الإيمان وقد سبق تخريجه .

(٣) النيسابورى . أسباب النزول . دار ابن الهيثم . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م . سورة القصص ص (١٦٧)

وأخرج النسائي عن ابن عباس . رضى الله عنهما . أن الحارث بن عامر بن نوفل ، هو الذى قال ذلك ^(١) .

وذكر أيضاً أبو الحسن النيسابورى أن هذه الآية نزلت فى الحارث بن عثمان بن عبد مناف ، وذلك أنه قال للنبي - ﷺ - : إنا لنعلم أن الذى تقول حق ، ولكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم ، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص / ٦١] .

قال السيوطى - رحمه الله - : أخرج ابن جرير الطبرى عن مجاهد فى قوله :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ ﴾ الآية، قال : نزلت فى النبي ﷺ ، وفى أبى جهل بن هشام . وأخرج من وجه آخر عنه : أنها نزلت فى حمزة وأبى جهل ^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير . رحمه الله . بعد قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ قال مجاهد وقتادة : من المعذبين، ثم قيل : إنها نزلت فى رسول الله ﷺ وفى أبى جهل ، وقيل فى حمزة وعلى وأبى جهل، وكلاهما عن مجاهد، والظاهر أنها عامة ... ^(٤) .

ونقل أبو الحسن النيسابورى عن السُّدِّى، أنها نزلت فى عمار والوليد بن المغيرة ^(٥) .

الآية رقم (٦٨) ، قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص / ٦٨]

قال أبو الحسن النيسابورى - رحمه الله - : قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال : فيما أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختياره ^(٦) .

(١) السيوطى . لباب النقول فى أسباب النزول . سورة القصص . ص (١٥٠) .

(٢) النيسابورى . أسباب النزول . سورة القصص . ص (١٦٧) .

(٣) السيوطى . المصدر السابق . سورة القصص . ص (١٥٠ . ١٥١) .

(٤) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . سورة القصص (٣ / ٤١٠) .

(٥) النيسابورى . السابق . سورة القصص . ص (١٦٨) .

(٦) نفسه . ص (١٦٨) .

وأورد ذلك القرطبي - رحمه الله - في تفسيره، فقال - رحمه الله - : قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي : الاختيار إلى الله - تعالى - في الشفاعة لا إلى المشركين .

وقيل : هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف / ٣١] يعنى : نفسه زعم ، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف .

وقيل : هو جواب اليهود إذ قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لأمنا به ^(١) .
قوله تعالى في الآية رقم (٨٥) : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٨٥)
قال السيوطي - رحمه الله - :

أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص / ٨٥] ^(٢) .
ولعل ما يؤيد ما أورده السيوطي عن ابن أبي حاتم ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب التفسير . باب : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ ، فقال : - رحمه الله - : حدثنا محمد بن مقاتل ، أخبرنا يعلى ، حدثنا سفيان العُصفري عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ قال : إلى مكة ^(٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - ، بعد أن ذكر الأقوال التي تفسر (الرد) بأنه إلى الجنة : وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخاري في التفسير في صحيحه ، حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العُصفري عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أي : لرادك إلى مكة.

(١) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . تقديم : هاني الحاج . حققه وخرّج أحاديثه : عماد زكي البارودي وخيري

حسن . المكتبة التوفيقية . القاهرة . مصر . د . ت . (١٣ / ٢٤٣ . ٢٤٤) .

(٢) السيوطي . لباب النقول في أسباب النزول . ص (١٥١) .

(٣) البخاري . صحيح البخاري . مكتبة الإيمان . المنصورة . مصر . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م . كتاب التفسير .

تفسير سورة القصص . باب : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ حديث (٤٧٧٣) . ص (١٠٠٦) .

وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه ، وابن جرير الطبري من حديث يعلى وهو ابن عبيد
الطنافسي به ، وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس ^(١).

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . (٣ / ٤١٧) .

المبحث الثانى

(الوحدة الموضوعية والتناسب فى سورة القصص)

أولاً : الوحدة بين سورة القصص وسور القرآن الكريم .

أ) الوحدة فى صفات القرآن .

ب) الوحدة فى مقاصد القرآن .

ثانياً : الوحدة بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم .

أ) بين سورة القصص وسورة يوسف .

- الموافقات

- المفارقات

ب) بين سورة القصص وسورة الشعراء (التفصيل والإجمال) .

ج) بين سورة القصص وسورة طه (التفصيل والإجمال) .

ثالثاً : الوحدة بين سورة القصص وما قبلها (النمل) وما بعدها (العنكبوت) .

أ) الوحدة بين أواخر النمل وأوائل القصص .

ب) الوحدة بين أواخر القصص وأوائل العنكبوت .

رابعاً : الوحدة بين مفتتح السورة وختامها .

بين يدي المبحث

يقول السيوطي . رحمه الله . في معترك الأقران :

" الوجه الرابع من وجوه إعجازه " :

مناسبة آياته وسوره ، وارتباط بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، وقد ألف علماؤنا في أسرارها تأليف كثيرة ، منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه " البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن " ، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " ، وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات^(١) .

أولاً : الوحدة بين سورة القصص وسور القرآن الكريم

(ب) الوحدة في مقاصد القرآن الكريم

(أ) الوحدة في صفات القرآن الكريم

(أ) الوحدة في صفات القرآن الكريم :

إن المستقرئ لآيات القرآن الكريم وسوره يعلم أن بينها قاسماً مشتركاً من الصفات الجليلة العظيمة، فمن ذلك :

الله - عز وجل - وصف القرآن . بالجملة . بأوصاف العظمة والبركة :

- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧) [الحجر / ٨٧]

- قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَن سَبَّاهُ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴾ (١) [ق / ١]

- قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿ ٧٨ ﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿ ٧٩ ﴾

[الواقعة / ٧٧-٧٩]

القرآن الكريم كتاب شامل لكل خير، وهادٍ ومبشر :

- قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

[النحل / ٨٩]

(١) انظر : السيوطي . معترك الأقران في إعجاز القرآن . (١ / ٤٣)

- قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء / ٩]

القرآن الكريم كتاب مبارك فى تأثيره وآثاره وأجره وثوابه :

- قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر / ٢١]

- قال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص / ٢٩]

- قال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام / ١٥٥]

- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ

وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة / ١٢٤ . ١٢٥]

- قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام / ١٩]

قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان / ٥٢]

القرآن الكريم حاكم على ما قبله من الكتب ومهيمناً عليه :

قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ط

فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة / ٤٨]

القرآن الكريم فرقان بين الحق والباطل ، والنور والظلام :

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان / ١]

قال تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِّنْ

عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾ [إبراهيم / ٢٠١]

(ب) الوحدة فى مقاصد القرآن الكريم :

سبق أن للقرآن الكريم بالجملة صفات مشتركة توجد فى جميع آياته وسوره، وكذلك توجد مقاصد رئيسة مشتركة بين آيه وسوره .

ذكر السيوطي . رحمه الله . فى كتابه الإتقان . فى النوع الثالث والسبعين (فى أفضل القرآن وفاضله) طرفاً من مقاصد القرآن الكريم ، وكيف أن سورة الفاتحة اشتملت على مقاصد القرآن كلها ، لذلك فهى أفضل سور القرآن ، وهى أم الكتاب .

فقال - رحمه الله - :

وقال ابن التين فى حديث البخارى : « لأعلمنك سورة هى أعظم السور » معناه أن ثوابها أعظم من غيرها ، وقال غيره: إنما كانت أعظم السور، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سميت أم القرآن ... وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري: باشتمالها على :

- الثناء على الله تعالى بما هو أهله .

- وعلى التعبد بالأمر والنهى وعلى الوعد والوعيد .

وقال الإمام فخر الدين : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات . المعاد . النبوات . إثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقلوه تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يدل على الإلهيات .

وقوله تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يدل على المعاد .

قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يدل على نفى الجبر ، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات ، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة ، وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن

وقال الطيبي : هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها على الأصول ، ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ① الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ومعرفة النبوة ، وهي المرادة بقوله : ﴿ أُنْمِتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومعرفة المعاد ، وهو المومى إليه بقوله : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

وثانيها : علم الفروع ، وأسس العبادات ، وهو المراد بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

وثالثها : علم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية ، والالتجاء إلى جانب الفردانية والسلوك لطريقه و الاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ② أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية ، و السعداء والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعد مسيئهم وهو المراد بقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

وقال أبو حامد الغزالي :

مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمة وثلاثة متممة :

الأولى : تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدورها

وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرح به فيها

وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو في الآخرة كما أشير إليه بـ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

والأخرى تعريف أحوال المطيعين ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

وحكاية أقوال الجاحدين ، وقد أشير إليها بـ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١)

وذكر أيضا . رحمه الله . مقاصد القرآن الكريم في موضع آخر ، أثناء الحديث عن سورة

الإخلاص ، وتوجيه كونها ثلث القرآن الكريم فقال . رحمه الله . :

" وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وسورة الإخلاص كلها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار .

وقال الغزالي في الجواهر : معارف القرآن المهمة ثلاثة : معرفة التوحيد ، والصراط المستقيم ، والآخرة ، وهي مشتملة على الأول ، فكانت ثلثاً

وقال غيره : القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق ، وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث ^(٢)

والذي يعنينا مما سبق من سرد أقوال العلماء ، أن القرآن الكريم في جملته تتحد فيه مقاصد عدة ، وهي المقاصد المشتملة على أصول الدين ، كالتوحيد ، والنبوة ، والإيمان بالبعث و العالم الغيبي كالملائكة والجنة والنار، ويقرر ويخدم هذه المقاصد في جميع سور القرآن الكريم

(١) السيوطي - الإتقان - ص (٥٢١ - ٥٢٢)

(٢) نفسه ص (٥٢٤)

التي تتنوع الأساليب فيها بين الإنشاء والخبر ، وذكر الوعد والوعيد ، وسرد القصص للاعتبار والتسلية ، والمتتبع لسور القرآن الكريم سيجد هذا واضحاً جلياً .

إسقاط هذه النتائج على سورة القصص :

الإلهيات : نلاحظ مثلاً ذكر توحيد الإلهية والربوبية في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (القصص / ٣٠)

والأسماء والصفات ، نلاحظها مثلاً في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (القصص / ١٦)

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص / ٦٥)
وقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (القصص / ٦٨) .

النبوات :

نلاحظ ذكرها في قصة موسى عليه الصلاة والسلام طيلة السورة كقوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص / ٣)
وفي ذكر هارون . عليه السلام . ، في قوله تعالى :

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ (القصص / ٣٤)
وفي خطاب النبي محمد ﷺ في قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (القصص / ٤٤)
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ﴾ (القصص / ٥٩)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (القصص / ٨٥)
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (القصص / ٨٦)
المعاد واليوم الآخر والوعد والوعيد :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (القصص / ٣٧)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص / ٤٠)

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (القصص ٤١-٤٢)

وعن المؤمنين وثوابهم يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢) وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (القصص ٥٢-٥٤)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (القصص / ٦٧)
القضاء والقدر :

كقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص / ٥)

وقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (القصص / ٦٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص / ٧٠)

القصص والأخبار :

فهو مجمل السورة من أولها إلى آخرها .

ثانياً : الوحدة بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم :

(أ) بين سورة القصص وسورة يوسف (الموافقات والمفارقات)

(ب) بين سورة القصص وسورة الشعراء (تفصيل المجملات)

(ج) بين سورة القصص وسورة طه (إجمال ما فُصِّل)

(أ) بين سورة القصص وسورة يوسف (الموافقات و المفارقات)

الموافقات :

(١) السورتان كلتاها مكيّ

(٢) لفظ القصص :

جاء هذا اللفظ اسماً لسورة القصص ، وورد هذا اللفظ في صدر سورة يوسف في قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف / ٣) ،

وهو ما يحدو بنا إلى الالتفات نحو البحث عن مزيد من التشابه بين السورتين ، وهو ما سيتضح عند عرض باقي الموافقات والمفارقات .

(٣) كلتا السورتين بدأتا بعد الحروف المقطعة ، بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾

(٤) الأحداث تدور حول شخصية محورية رئيسة :

وهذا يلاحظ في السورتين ، والذي يؤكد ذلك إضافة الشخصيات الثانوية إليهما ، وهاك بعض الأمثلة :

ففي سورة يوسف نجد قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾ (يوسف / ٤)

وقوله تعالى : ﴿ يَبْنَى لَا نَقُصُّ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ (يوسف / ٥)

وقوله تعالى : ﴿ وَيُثَمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف / ٦)

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ ﴾ (يوسف / ٧)

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ ﴾ (يوسف / ٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ (يوسف / ٢٣)

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (يوسف / ٥٨)
فلاحظ أن الإضافة إما إلى ضميره ، وإما إلى اسمه ، وإما بذكر ضميره في صدر الصلة كما في آية المراودة .

وفي سورة القصص نجد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص / ٧)
وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ قُودُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدِرْعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ (القصص / ١٠)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ (القصص / ١١)

وقوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ﴾ (القصص / ١٣)

وقوله تعالى : ﴿ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوٍّ ﴾ (القصص / ١٥)

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (القصص / ٣٥)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ (القصص / ٧٦)

كما نلاحظ أن جميع أحداث القصتين مرتبطة بالشخصية الرئيسة من قريب أو من بعيد .

٥) كلتا السورتين تعرضت لحياة النبيين صغيرين ، ومحنتهما :

نلاحظ ذلك في صدر سورة القصص من قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾

(القصص / ٧) وحتى الآية (٣) ﴿ كَيْ نَقْرَعَنَّ عَنْهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾

وكذلك في سورة يوسف نجد ذلك في صدرها عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي

رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف / ٤)

وحتى قوله تعالى : ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾

(يوسف / ٢٠) ثم بعد ذلك ننتقل لمرحلة أخرى وابتلاء آخر في بيت العزيز .

٦) إحاطة وشمول علم الله - تعالى - وقصور علم غيره :

كلتا السورتين تؤكدان سعة وإحاطة علم الله - جل وعلا - ، وأن علم غير الله قاصر ضئيل ،

حتى النبي محمد ﷺ ، ولذلك نبه الله - جل وعلا - في كلتا السورتين أن النبي ﷺ لم يكن

يعلم خبر هذين النبيين قبل إخبار الله - تعالى - له .

فوجد في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ [يوسف/ ٣] وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف/ ١٠٢]

ونجد في سورة القصص قوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص/ ٣]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص/ ٤٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص/ ٤٦]

(٧) كلتا السورتين تعرض للبشارة عن طريق الوحي :

فوجد في سورة يوسف أن البشارة جاءت عن طريق الوحي بالرؤيا الصالحة ، وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، قال رسول الله ﷺ : « إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ^(١) ، ونجد تأكيد ذلك في قول يوسف - عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَوَلِّىَ رَأْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف/ ١٠٠]

ونجد في سورة القصص :

أن الله - جلّ وعلا - أوحى إلى أم موسى وحى إلهام ، بأن ترضعه، وتلقيه في اليم إذا خافت عليه ، وبشرها في الآية نفسها بأنه محفوظ لكونه من المرسلين ، فقال عز من قائل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص/ ٧] .

(٨) كلا النبيين وقومهما من بنى إسرائيل .

(٩) أحداث القصتين دار معظمها بمصر .

(١) رواه البخارى . كتاب التعبير : باب القيد فى المنام . حديث (٧٠١٧) .

(١٠) ذكر عفة كلا النبيين الكريمين عليهما السلام .

فى سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف/ ٢٣] وفى قوله : ﴿ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف/ ٢٦- ٢٨]

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف/ ٣١] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف/ ٥١]

وفى سورة القصص فى قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ احْدَهُمَا يَتَابَتِ اسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص/ ٢٦] وأوردت الأخبار الصحيحة أن المرأة كانت تقصد بالأمانة عفته، لما رأت منه فى الطريق وأنه أمرها أن تكون من خلفه، فإذا كان الطريق يمينا حذفت له بحصاة يمينا ، وإن كان يسرة حذفت يسارا^(١)، وهو ما حدا بأبيها أن يقول : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ ﴾ [القصص/ ٢٧] .

(١١) تفوق كلا النبيين فى شىء معين علاوة على الإيمان والتقوى :

ففى قصة يوسف : نجد أن يوسف . عليه السلام . كان فائق الجمال، وهذا واضح من قول النسوة : ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف/ ٣١] وفى قصة موسى عليه السلام : نجد أن موسى . عليه السلام . كان فائق القوة، دلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص/ ١٥] ، ومعلوم أن الوكر مهما كان شديدا لا يقتل، ووردت السنة أيضا أنه رفع حجر البئر، وكان يرفعه عشرة رجال .

(١٢) ابتلاء كلا النبيين الكريمين فى جنس ما تفوقا فيه :

(١) انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . سورة القصص - (٣ / ٣٩٨) .

فيوسف . عليه السلام . راودته امرأة العزيز ، ثم نساء رجالات مصر الكبار وقتنذ حتى أدخلنه السجن ظلماً .

وموسى - عليه السلام - قتل الرجل خطأً منه ، وكان يريد أن يمنع شره ولما تكرر هذا مرة أخرى ، وأراد أن يُحَجِّز بين رجلين ، الإسرائيلى وقبطى ، فقال له القبطى : ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٩) [القصص/ ١٩] فانكف موسى . عليه السلام . خوفاً من ربه جلا وعلا، وعلم عندئذ أن الخبر قد شاع، وأكد ذلك له الرجل الصالح حين قال له : ﴿ إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إَنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠) [القصص/ ٢٠]

(١٣) كلتا السورتين ذكرت وفاء وإحسان النبيين الكريمين :

ففى سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) [يوسف/ ٢٣]

وذكرت السورة إحسانه لمن أساء إليه وذلك عندما قال لإخوته : ﴿ قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٩٢) [يوسف/ ٩٢]

وفى سورة القصص : نجد مروءة نبي الله موسى . عليه السلام . عندما رأى امرأتين ضعيفتين تذودان ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٢٤) [القصص/ ٢٤] .

ويتجلى وفاؤه أيضاً فى أدائه الأجل الأتم ، تبرعاً وفضلاً ، بعدما خيّر بين أن يقضى ثمانى حجج لزاماً ، أو عشرأ اختياراً ، فقضى أطيبهما وأوفاهما كما وردت السنة من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - (١) قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٢٨) [القصص/ ٢٨]

(١) ذكر ابن كثير فى تفسيره عن الإمام البخارى قال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير قال : سألنى يهودى من أهل الحيرة أى

(١٤) كلا النبيين آتاه الله حكماً وعِلماً :

ففى سورة يوسف : قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف/ ٢٢]

وفى سورة القصص : قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص/ ١٤]

فلاحظ أن الله - جل وعلا - منح النبيين الكريمين بعد بلوغ الأشد والاستواء مع موسى - عليه السلام - الحكم والعلم ، وذلك ليتحملا أعباء الابتلاء المتتالية عليهما ، ولذلك جاء بعد ذكر هذه الآية بلاء يوسف - عليه السلام - ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾

[يوسف/ ٢٣] ، وبعد آية القصص بلاء موسى - عليه السلام - ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص/ ١٥]

(١٥) تعرض كلا النبيين الكريمين للقتل :

ففى سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ أَقْنُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [٩] قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهٖ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ﴿ [يوسف/ ١٠.٩]

وفى سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ ابْنُ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص/ ٢٠]

(١٦) التشابه بين حال موسى - عليه السلام - لما أجر نفسه مع حال يوسف - عليه السلام - :

الأجلين قضى موسى؟ فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فاسأله، فقدمت على ابن عباس -رضى

الله عنهما- فسألته، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل .

انظر : ابن كثير . التفسير . (٣ / ٣٩٩) .

ولعل وجه الشبه يكمن في أن كليهما صار محبوساً مرهوناً عند شخص معين ، لا يستطيع أحد منهما أن يبرح مكانه، فيوسف لأن الرجل اشتراه بعد الظلم الذي وقع عليه ، وموسى لأجل الوفاء بالعهد ، وإتمام المدة .

(١٧) الاستوزار أو التعضيد بالأخ :

ففي سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف/ ٦٩]

وفي سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [٣٤] قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص/ ٣٤-٣٥]

(١٨) التقاء كلا النبيين الكريمين بأهله :

ففي سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [٩٩] وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف/ ٩٩-١٠٠]

وفي سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَنُكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص/ ١٣]

(١٩) يوسف - عليه السلام - ألقى في الجُبِّ ، وموسى عليه السلام ألقى في اليم .

(٢٠) يوسف - عليه السلام - رُئِيَ في بيت العزيز ، وموسى عليه السلام رُئِيَ في بيت فرعون .

(٢١) التشابه بين قولى العزيز وامرأة فرعون ، وفراسيتيهما :

ففي سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف/ ٢١]

وفي سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص/ ٩]

وكل من العزيز وامرأة فرعون انتفع بالنبیین الکریمین، فالعزیز انتفع بأن یوسف . علیه السلام . حفظه فی غیبه ولم یدنس فراشه، لأنه أکرم مثواه یوماً من الأيام، وامرأة فرعون انتفعت بموسی - علیه السلام - فی الدنیا والآخرة لما آمنت به ، فكان قرار عینها کما تفرست فیہ .

(٢٢) التشابه بین قولى امرأة فرعون، وأحد أخوة يوسف « لا تقتلوه »

ففى سورة يوسف: قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ [يوسف/ ١٠]
وفى سورة القصص: قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص/ ٩]

(٢٣) تشابه الأبوة والأمومة فى الشفقة والحنو :

ففى سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ ۖ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف/ ١٣]

وقال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف/ ١٨]

وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف/ ٨٤-٨٦]

وفى سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَاغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ ۖ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص/ ١٠]

(٢٤) تعلل الأبناء بكفر الآباء فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف : فى قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف/ ٤٠]

وفى سورة القصص: فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص/ ٣٦]

(٢٥) ذكر الشيخ الكبير فى كلتا السورتين ، وذكره بلفظ الأبوة :

ففى سورة يوسف وقع ذكر الشيخ الكبير من أجل الاعتذار به لأجل أن يرق لهم العزيز يوسف عليه السلام . ، فقال تعالى يحكى ما حدث: ﴿ قَالُوا يَتَّيِّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف/ ٧٨]

وفى سورة القصص: وقع ذكر الشيخ الكبير من أجل الاعتذار عنه ، خشية أن يُظن به شيء من تقصير أو تفريط، فقال تعالى حاكياً ما حدث: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/ ٢٣]

(٢٦) دور أقارب الخصوم فى الدفع عن النبيين الكريمين :

ففى سورة يوسف : قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف/ ٢٦- ٢٨]

وفى سورة القصص: قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُمُوسَى ابْنُ الْمَلَأِ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص/ ٢١]

(٢٧) إثبات الحكم لله فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَبْنِى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢٧) [يوسف/ ٦٧]

وفى سور القصص: فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص/ ٨٨]

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص/ ٧٠]

(٢٨) نفشى السر وتناقل الناس له فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف: قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف/ ٣٠]

وفى سورة القصص: قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۚ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص/ ١٩]

(٢٩) استخدام الحيلة المحموده لاسترجاع الأخ :

ففى سورة يوسف ، نجد يوسف عليه السلام استخدام الحيلة المحموده لاسترجاع أخيه إليه، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾ [يوسف/ ٧٠] إلى قوله ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف/ ٧٠-٧٦]

وفى سورة القصص، نجد أخت موسى تتلمسه وتتفقده من بعيد ، وعندما تكلمت استخدمت المعاريض، وهذا من الحكمة والحصافة، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص/ ١١] ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [القصص/ ١١-١٢]

(٣٠) كلا النبيين الكريمين بركة على من حوله :

أما البركة العامة، فلأن كل من آمن بهما دخل الجنة ، ونجا من النار ، سواء أكان من القبط ، أم من بنى إسرائيل .
وأما البركة الخاصة ، فيوسف . عليه السلام . جاء بقومه من البدو، بعدما أصابهم القحط، فأقامهم بمصر مقاماً كريماً، وموسى . عليه السلام . أنجى الله به قومه من كيد فرعون ويطشه وأورثهم أرضهم وديارهم .

(٣١) من الآيات العظيمة: إلقاء القميص وإلقاء العصا :

ففى سورة يوسف: جاء قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف/ ٩٣] ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۚ لَوْلَا أَنْ تُقِنِّدُونِ ﴾ [يوسف/ ٩٣-٩٤]

وفي سورة القصص: جاء قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا حَآجٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص/ ٣١]

(٣٢) تشابه أسباب انفراج الأزمتين :

ففي سورة يوسف : نجد أن بداية الانفراجة عندما تذكر أحد صاحبي السجن ، وذكر يوسف . عليه السلام . للملك .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنِيتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (٤٥) [يوسف/ ٤٥]

وفي سورة القصص: نجد أن بداية الانفراجة عندما ذهبت البنات إلى أبيهما ، ثم رجعت إليه إحداهما على الصورة التي ذكرها الله تعالى ، فقال : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥) [القصص/ ٢٥]

(٣٣) مخاطبة النبي - ﷺ - بكلتا القستين لتسليته، واعتبار من خلفه :

ففي سورة يوسف : نجد قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ (٣) [يوسف/ ٣]

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١١١) [يوسف/ ١٠٢-١١١]

وفي سورة القصص: نجد قوله تعالى : ﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) [القصص/ ١-٣]

وقال تعالى بعد قصة قارون ، محذراً من وراءه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) [القصص/ ٨٣]

(٣٤) لجوء كلا النبيين الكريمين إلى الله تعالى في محنتهما :

ففى سورة يوسف نجد يوسف . عليه السلام . يقول : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ [يوسف/٣٣-٣٤] ، فنجاه ﷺ لجأ إلى الله بعد ما جرد نفسه من كل حول وقوة .

وفى سورة القصص نجد موسى . عليه السلام . يقول بعدما قتل القبطى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص/ ١٦-١٧]

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ [القصص/٢١-٢٢] (٣٥) وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف : قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف/٢١]

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَؤُلَاءِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (٥٤) قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ [يوسف/٥٤-٥٥]

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١) [يوسف/١٠١]

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١٠) [يوسف/١١٠]

وفى سورة القصص: قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [القصص/٥-٦]

وقوله تعالى: يبشر النبي محمد ﷺ بالتمكين والرد إلى مكة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٨٥﴾ [القصص/ ٨٥]

(٣٦) مجيء لفظ (الأهل) في كلتا السورتين :

ففي سورة يوسف قوله تعالى : ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف/ ٢٥] فجاء لفظ (أهل) بمعنى الزوجة وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا بِيضَنَّهُمْ فِي رَحْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [يوسف/ ٦٢] بمعنى العشيرة أو القوم وكذلك قوله تعالى : ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف/ ٦٥] وكذلك قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَجَةٍ﴾ [يوسف/ ٨٨] وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَتَوْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف/ ٩٣]

وفي سورة القصص: ورد لفظ (أهل) بمعنى الزوجة، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [القصص/ ٢٩] ولو أشكل علينا بأن أهله هنا هو زوجته وأولاده، فالجواب : حتى لو فرض أن له ولداً وقتئذٍ، فلن يتجاوز التسع سنين، فتعين أن الخطاب هنا للأكبر والأرشد، وهو الزوجة في هذا المقام . والله أعلى وأعلم . .

(٣٧) كلتا السورتين ذكر فيها لفظ « الأرض »، وهي كناية عن مصر .

(٣٨) كلا الملكين رأى رؤيا بنى عليها أحداث الصراع، فرويا الملك في قصة يوسف . عليه السلام . ذكرت نصاً ، ورؤيا فرعون في قصة موسى . عليه السلام . ذكرها أهل التفسير .

(٣٩) تشابه قوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف/ ١٠٩]

مع قوله تعالى : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص/ ٦٠]

المفارقات :

(١) المفارقة بين موقف الملكين المتناقضين مع النبيين الكريمين .

(٢) المفارقة بين امرأة فرعون وامرأة العزيز .

(٣) المفارقة بين موقف الشرفاء والمفرطين فى عفتهم :

هذه الملاحظة تظهر فى تباين موقفى العزيز زوج المرأة عندما قال ليوسف - عليه السلام - ،
وقد تبين له كذب امرأته، وخيانتها له : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ
كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف/ ٢٩]

وفى نخوة الرجل الصالح وشهامته وكيف أنه لم يتنازل عن مهر ابنته، فاستعاض عنه
باستئجار نبي الله موسى - عليه السلام - ، ذلك ليعلم كل أحد أن الأبخاع لا يتصدق بها ولا
توهب ، قال تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ
أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص/ ٢٧] .

وكذلك أيضاً نلاحظ المفارقة الكبيرة بين موقف البنت الحبيبة التى جاءت لموسى - عليه السلام
- تبغى رسالة أبيها على الوصف الذى ذكره الله - تعالى - : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى
أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص/ ٢٥] ، وبين جسارة وشقاوة امرأة العزيز ، ونساء طبقتها حيث قالت :
﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصِمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف/ ٣٢] .

بضع امرأة واحدة ، لا تزيد عن غيرها إلا فى طهرها وعفتها ، فيعمل من أجلها الرجل عشر
سنين أجيراً ، وما ذاك إلا لأنه الحلال ، وعلى النقيض أبضاع نساء القصور تُعرض على رجل
واحد ، وبدون أدنى ثمن ولو كان بخساً ، وما ذاك إلا لأنه الحرام ، والعياذ بالله .

(٤) المفارقة بين حال الإخوة فى السورتين :

الفرق بين جلى بين موقف أخت موسى فى تقصى أثره ، واستخدام الحيلة فى استرجاعه ورده
، وكذلك موقف هارون - عليه السلام - ، وعلى النقيض موقف إخوة يوسف ، وارتكابهم الحيلة
المذمومة للذب به بعيداً عن أبيه بأى وسيلة .

(٥) المفارقة بين خروج يوسف وخروج قارون :

خرج يوسف - عليه السلام - خروج المُجْبَر المكره على أمره، فى تواضع جم، وبُغْضٍ لهذا المخرج قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف/ ٣١]

وأما قارون - لعنه الله - ، فخرج خروج البطر الأشتر المتباهى، المُحِب لهذا المخرج ، المُعْدُّ له العُدَّة ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ [القصص/ ٧٩]

(٦) استخدام لفظة « أمة » بمعنيين مختلفين :

وردت هذه اللفظة فى سورة يوسف بمعنى الوقت أو المدة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف/ ٤٥] ووردت فى سورة القصص بمعنى الطائفة أو الجماعة .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص/ ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [القصص/ ٧٥]

(٧) وصف الحاكم بالملك بخلاف فرعون، ووصف الوزير بالعزير ولم يوصف هامان بذلك:

وصف الملك فى قصة يوسف - عليه السلام - (بالملك) ، ولم يوصف فرعون (بالملك) ، مع أن كليهما حكم مصر . وكذلك وصف الوزير الذى اشترى يوسف - عليه السلام - (بالعزير) ، ووصف به أيضاً يوسف - عليه السلام - ، ولم يوصف بهذا الوصف هامان، مع العلم أنه كان وزيره الأول، والرجل الثانى بعد فرعون .

(٨) ذكر أبى يوسف وعدم ذكر أمه تعييناً ، وذكر أم موسى وعدم ذكر أبيه .

(٩) ذكر لفظ « قرية » فى سورة يوسف ، ولفظ « المدينة » فى سورة القصص .

(١٠) رجوع موسى - عليه السلام - إلى أهله ، ورجوع أهل يوسف - عليه السلام - إليه .

(١١) موسى - عليه السلام - خرج من مصر ، ويوسف - عليه السلام - دخل مصر ، وكلا الحدثان البداية الحقيقية فى سبيل تمكينهما .

(ب) بين القصص والشعراء المكيّين^(١) (التفصيل والإجمال) :

نجد فى هاتين السورتين الكريمتين تكراراً لقصة نبي الله موسى . عليه السلام . نفسه، بيد أن الذى أريد أن أنبه عليه ، أن التكرار فى القصص القرآنى ليس على سبيل التكرار الذى لا فائدة منه، بل الأمر على العكس أو النقيض ومن أكثر القصص تكرار قصة نبي الله موسى عليه السلام ، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك ، فاليهود كانوا موجودين فى المدينة، وقرييين من قريش، وكذلك النصارى فى نجران وغيرها، فلذلك تكررت قصة موسى وعيسى . عليهما السلام . أكثر من غيرهما ، لأن تكرار قصتيهما كان يراعى مقتضى الأحوال المتباينة ، ويخدم المقامات المختلفة ، ومع هذا لم يكن التكرار على وجه واحد، بل يختلف فى الطول والقصر، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة فى موضع دون آخر^(٢).

وهذا التباين فى جوانب القصة فى موضع دون آخر، يدفعنا إلى القول بوجود إجمال وتفصيل بينهما، وهذا ما نجده بين سورتي القصص والشعراء، والجدول التالى يوضح ذلك :

نوع القصة	سورة القصص	سورة الشعراء
التبشير بالرسالة، والاستوزار بهارون عليه السلام	إجمال	إجمال
مواجهة فرعون بالرسالة	إجمال	تفصيل
إهلاك فرعون وقومه	إجمال	تفصيل

فالملاحظ أن هناك ثلاث قصص مشتركة بين السورتين ، وأنهما اتفقتا فى الإجمال الحاصل فى قصة (البشارة بالرسالة والاستوزار بهارون - عليه السلام -) ، ولكن فى القصتين الأخيرتين، نجد تفصيلاً لهما فى الشعراء، وإجمالاً فى القصص، ولعل الدافع إلى ذلك :

(١) أن سورة الشعراء عرض قصصى للصراع بين الحق والباطل، والأمر لا يخلو من ذكر المحاجات والمناظرات بين الفريقين، وذكر هلاك المكابرين والمعاندين، وهذان الأمران هما فحوى هاتين القصتين .

(١) انظر : ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٢٠ / ٦٢)

(٢) ابن عثيمين . شرح أصول التفسير . ص (١٥١) بتصرف .

(٢) مجيء ذكر هاتين القصتين في سورة القصص، للدلالة على أهمية هاتين القصتين، وأما ذكرهما إجمالاً، فلأن العبرة في هذا الموضع بمفادهما ، لاسيما وأنها فصلاً في موضع آخر .

وينبغي أيضاً أن نلاحظ أن مجيء القصة في موضع ما مجمل، ليس الغرض منه الإجمال والاختصار فقط، بل ذلك ومعه شيء مهم، وهو إضافة فوائد وزوائد مهمة على القصة الأخرى، ولنضرب مثلاً بقصة (التبشير بالرسالة والاستوزار بهارون -عليه السلام-) ، نجد ما يلي :

(١) في سورة الشعراء ﴿أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء/ ١٠]

وفي سورة القصص ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص/ ٣٢]

فعلم من الجمع بينهما أن فرعون وقومه ظالمون وفاسقون .

(٢) في سورة القصص ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣)

[القصص/ ٣٣]

وفي سورة الشعراء : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) [الشعراء/ ١٢]، ثم ذكر القتل في

آية رقم (١٤) ، فبالجمع علم أن موسى -عليه السلام- خاف التكذيب والقتل .

(٣) في سورة الشعراء : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (١٣)

[الشعراء/ ١٣]

وفي سورة القصص : ﴿وَإِخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾

[القصص/ ٣٤] ، فبالجمع علم أن التكذيب سبب لضيق الصدر، وعلم أيضاً أن هارون -عليه

السلام- كان أفصح لساناً من موسى -عليه السلام- بسبب عارض اللثغة .

(ج) بين سورتي القصص وطه المكيّتين (التفصيل والإجمال) :

نجد أيضاً بين هاتين السورتين الكريمتين تكراراً لقصة نبي الله موسى - عليه السلام - ويمكننا القول أيضاً بوجود علاقة إجمال وتفصيل للتباين في العرض القصصي في السورتين الكريمتين على النحو التالي :

نوع القصة	سورة القصص	سورة طه
رؤية النار من الشجرة	إجمال	تفصيل للمناجاة
التبشير بالرسالة والاستوزار بهارون عليه السلام	إجمال	تفصيل
قصة أم موسى وإلقائه في اليم وقصته مع أخته	تفصيل	إجمال
قصة دخوله مدين وخروجه منها	تفصيل	إجمال
مواجهة فرعون	إجمال	تفصيل
هلاك فرعون	إجمال	إجمال

ثالثاً : الوحدة بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها

(أ) (الوحدة بين أواخر (النمل) وأوائل (القصص))
(ب) (الوحدة بين أواخر (القصص) وأوائل (العنكبوت))

(أ) (الوحدة بين أواخر النمل ، وأوائل القصص :

إن المتتبع لأواخر سورة النمل ، و أوائل سورة القصص يلحظ ثمة وحدة وتناسباً بين آي السورتين .

قال السيوطي نقلاً عن بعض أهل العلم : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ، ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى : ﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر / ٧٥) ^(١) ، وهاك بعضاً مما تراءى لي :

■ الأمر بالحمد على النعم والآيات و المنن :

في سورة النمل في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل / ٩٣)
ثم جاء في سورة القصص - في صدرها - أولى النعم والآيات و أولها وأحراها بالحمد والشكر ،
القرآن الكريم ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (القصص / ٢)

وجاء في صدر القصص نعمة المن بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين ، وهي أيضاً من النعم التي ينبغي أن يحمد عليها المولى - عز وجل - ، وهي ضمن الآيات التي وعدنا الله برويتها ،
قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ ۚ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص ٥-٦)

■ الوعد ببذل الآيات البيّنات الواضحات وإنزالها :

في سورة النمل في قوله - تعالى - : ﴿ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل / ٩٣)
ومعلوم أن حرف (السين) له فائدتان : الأولى : قرب وقوع الحدث .

(١) انظر : السيوطي - الإتيان - ص (٤٥٨)

الثانية : تحقق وقوع الحدث ، أي إن هذه الآيات لابد أن تقع ونراها بقدر الله الكوني ، وهي آيات بينات واضحات ، بدلالة قوله تعالى : ﴿فَنَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل / ٩٣)
ويأتى المعنى نفسه تقريباً في صدر سورة القصص ، لا يفصل بينهما سوى الحروف المقطعة ﴿طَسَمَ﴾ (القصص / ١) ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (القصص / ٢)

من سنن الله - جل وعلا - إمهال الظالمين وعدم الغفلة عنهم :

نطالع هذا المعنى تطابقاً في سورة النمل في قوله تعالى : ﴿وَمَارِئُكَ يَغْلِبُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل / ٩٣)

وتطالعه بدلالة الالتزام في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص / ٣)
ومعلوم أن الذي يتلو نبأ لا يكون غافلاً ، فما بالنا لو قيّد الإنباء بأنه حق ، وما بالنا لو كان من عند الله العظيم الخبير ، فهذا المعنى يدل مع غيره بدلالة التلازم على عدم الغفلة ، وحاشاه سبحانه وتعالى .

من الله وفضله على المؤمنين في الدنيا و الآخرة :

نلاحظ هذا في سورة النمل في قوله - تعالى - : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُتِمَ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل ٨٩-٩٠) .

والمعنى نفسه نلاحظه في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص ٥-٦)
ومعلوم أن إمامة الدين تكون في الدنيا والآخرة ، وكذلك الوراثة قد تكون في الدنيا والآخرة أو في الآخرة ، والشاهد أن المؤمن في معية الله - جل وعلا - في الدنيا والآخرة ، ومقتضى تلك المعية الخاصة النصر والتأييد والتمكين .

القرآن الكريم بيان وهداية لمن يتلوه ويتدبره :

في سورة النمل في قوله عز من قائل : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل / ٩٢)

وفي سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص ٢-٣)

ويظهر التلازم بين قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ وقوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو ﴾ وكذلك التلازم بين قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

التعاقب بين الخير والشر ، والهدى والضلالة :

في سورة النمل نجد ذكر المقابلة بين الناجي بالحسنة الراجح ميزانه ، وبين المفسد الهالك الذي أوبقه عدوانه ، قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَ ذِئْلِ الْعَمَلِ ﴾ (النمل ٨٩-٩٠)

وكذلك ذكر حالتي الهدى والضلالة في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل / ٩٢)

وفي صدر سورة القصص أيضاً نجد ذكر مثالي الخير والشر متمثلين في موسى - عليه السلام - ، وفرعون عليه . لعنه الله . ، في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص / ٣)

وكذلك ذكر مثالي الخير و الشر بعد ذلك متمثلين في المؤمنين من بني إسرائيل عامة ، وفي فرعون وهامان وسائر جنودهما ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص ٥-٦)

ملاحظات أخرى بين سورتي القصص والنمل :

الملاحظات السابقة كانت بين أواخر سورة النمل ، وأوائل القصص ، بيد أن المتتبع للسورتين في الجملة يمكنه استنباط بعض الملاحظات الأخرى بصفة عامة فمن ذلك :

- السورتان مكيتان .
- الاتفاق في فواصل السورتين في الجملة ، إلا القليل .
- كلتا السورتين من السور القصصية ، استُخدمَ فيها العرض القصصى ، لإيضاح قضية التوحيد في صراعه مع الكفر ، وإبراز الاعتبار بمن عاند وكابر من الأمم الظالمة .
- كلتا السورتين الكريمتين تعرضتا لمسألة (توحيد الربوبية) عن طريق التدبر في صفحة الكون ، والتفكير في حال الإنسان نفسه ثم قرّر المولى - عز وجل - هذه الحقيقة العقديّة عن طريق الاستفهام الإنكاري ، الذي لا يجد أمامه المنكر الجاحد بدءاً من الإقرار بالوحدانية لله رب العالمين ، تكرر ذلك في سورة النمل في الآيات من (٥٩) وحتى الآية (٦٤) بالسؤال ب ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل / ٦٤)

وكذلك في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الِئْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (القصص / ٧١)

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ

اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص / ٧٢)

- تعرضت سورة النمل كالقصص لذكر موسى . عليه السلام . ، ولكن بشيء من الإجمال ، ولعل ذلك للاعتبار بقصته مع فرعون في الجملة ، لاسيما وأن قصته ذكرت بشيء من التفصيل في سورة الشعراء السابقة لها ، وكذلك في سورة القصص اللاحقة لها ، وكلاهما ذكر ما أجمل في سورة النمل ، فلعل هذا هو سبب الإجمال فيها ، وأن الهدف بالدرجة الأولى هو العبرة .

- كلتا السورتين تعرضت لذكر الآيات العجيبة ، كالحية ، والنملة و الهدد ، والصرح المُمَرَّد من قوارير ، والعفريت من الجن ، والذي عنده علم من الكتاب ، وإدخال اليد من الجيب ، وإلقاء موسى . عليه السلام . في اليم ونجاته بقدر الله الغالب ، وتربيته في بيت أكفر وأعتى رجل ، وغنى قارون العجيب ، وقصة خسف الأرض به .

(ب) الوحدة بين أواخر (القصص) ، وأوائل (العنكبوت) :

بتتبع أواخر سورة (القصص) ، وأوائل سورة (العنكبوت) ، لاحظنا أيضاً وجود وحدة بين السورتين ، فمن ذلك :

توحيد الله - جلّ وعلا - أمانة للمؤمنين يوم اللقاء :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص / ٨٨)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت / ٥)

ومعلوم أن من رجا لقاء الله بالشرك دون التوحيد ، فهو عابث ساخر ، مثله كمثل الذي اشتهى الولد من صلبه بدون نكاح ، ومن أراد سفراً أعد له عدته ، وعدة المؤمن توحيد الله تعالى .

الرد (كوناً) إلى أجل وميعاد للحساب والجزاء :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (القصص / ٨٥)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص / ٨٨)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت / ٥)

التحذير من مغبة منقلب الفتن وسوءه :

في سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت ٢-٣)

وفي سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجَهَّهُ لَهَ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٧﴾ (القصص ٨٧-٨٨) ومعلوم أن صدهم عن آيات الله من أعظم الفتن ، وهو ما أكدته صدر سورة العنكبوت .

لا خلاص من الفتن إلا بالدعوة والمجاهدة :

ومن المعلوم بالضرورة أن بين الدعوة والمجاهدة تلازماً ، فالدعوة أصل ، والمجاهدة فرع ، أو أن علاقتهما سببيه ، ولذلك كان من وصيه لقمان لابنه ﴿ يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وهذا دعوة إلى الله ، وإقامة لشعائر الدين ، ثم قال : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان / ١٧) ، أي إن القائم بالدعوة وما يلزمها من أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، لا بد أن يناله أذى من الناس ، لذا فحريُّ به وجدير أن يجاهد نفسه على الصبر ، وهذا من عزم الأمور .

نطالع هذه المعاني الجليلة في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٠ (القصص / ٨٧) وفي سورة العنكبوت في قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت : ٢ - ٣) تبشير المؤمنين بفضل الله عليهم ، وعفوه عنهم :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا نَهَا ﴾ (القصص / ٨٤) وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت / ٧) الله - عز وجل - يملئ للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآتُهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (القصص ٨١-٨٢)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (العنكبوت / ٤) .

ثمرة اعتقاد المؤمن باسم الله " العليم " :

من المقرر في قواعد الأسماء والصفات أن اسم الله . جل وعلا . ، يتضمن الصفة ، ولا عكس ^(١) ، وعليه فاسم الله (العليم) يتضمن صفة (العلم) ، والمؤمن إذا اعتقد أن الله عليم ، فلا بد أن يراقب الله . جل وعلا . ، ولا يرى الله . عز وجل . منه إلا الخير كل الخير ، وهذا من أجل ثمرات الاعتقاد بهذه الصفة العظيمة ، لإحياء المراقبة وإيقاظها في النفس ، والله . جل وعلا . يلفتنا إلى هذه الثمرة في السورتين ، ففي سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (القصص / ٨٥)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت / ٣)

وكذلك قوله : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت / ٥)

ملاحظات أخرى بين سورتى القصص والعنكبوت فى الجملة

- السورتان مكيتان .
- السورتان الكريمتان من السور القصصية .
- اتفاق الفواصل في العموم في السورتين الكريمتين .
- كلتا السورتين الكريمتين تعرضتا لمسألة التقرير (لتوحيد الربوبية) عن طريق التفكير والتدبر فى صفحة الكون، وبذلك تكون السور الثلاث (النمل . القصص . العنكبوت) مشتركة فى تقرير هذه المسألة ، وقد مر بنا الآيات التى تقرر هذه المسألة فى سورة القصص، والآن نشير إلى الآيات فى سورة العنكبوت

(١) ابن عثيمين - القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى - انظر : القاعدة الثانية من قواعد الأسماء ص (١١)

- قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت/ ١٩- ٢٠]

- تعرضت سورة العنكبوت لذكر نبي الله موسى . عليه السلام . كما تعرضت له القصص ، بيد أنها تشبه سورة النمل في أنها عرضت سيرته بشيء من الإجمال والاختصار ، ولعل ذلك أيضاً للاعتبار بقصته مع فرعون في الجملة .

- تقرير مسألة بسط الرزق وقدره ، وأنها بيد الله . جل وعلا . : ورد ذلك في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ [القصص/ ٨٢]

- وفي سورة العنكبوت في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦٢) [العنكبوت/ ٦٢]

- بيان وتفصيل للإجمال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ [القصص/ ٨٧] وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ (١٢) [العنكبوت/ ١٢]

- ورود الآيات والفوائد العجيبة والمفيدة :

وذلك نجده في السورتين ، وقد سبق الإشارة لما في القصص ، وأما سورة العنكبوت فأسجل الإشارة إلى حقيقة أن أوهن البيوت بيت العنكبوت ، وذكر هذا على سبيل التمثيل بضعف الآلهة التي اتخذها المشركون من دون الله ، قال العلامة ابن القيم . رحمه الله . : « فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياء ، هم أضعف منهم ، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وهو أوهن البيوت وأضعفه » (١) .

ولعلنا نستنتج مما سبق ، وجود وحدة بين معاني السور الثلاث ، لاسيما الروابط والوشائج المتناسقة بين هذه السورة القرآنية وما قبلها وما بعدها ، وهو ما يحدو بنا إلى القول : إن

(١) ابن قيم الجوزية . الجامع في أمثال القرآن الكريم . جمع وترتيب : أبى أويس الكردي . راجعه : الشيخ مصطفى بن العدوى . مكتبة ابن تيمية . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م . انظر : سورة العنكبوت ص (١٨٤)

الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يضعوا سورة معينة في موضع إلا بالإشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لأن هذا الاتساق لا يكون إلا بوحي كما ذكر العز بن عبد السلام - رحمه الله - ، وأيضا يمكننا القول إن من فائدة ذكر هذه الروابط العون على فهم أدق لجوهر السورة القرآنية .

رابعاً : الوحدة بين مفتتح السورة وختامها :

مذهب العرب في نظم الكلام أن يوازنوا كل الموازنة بين مطلعها ونهايته، لأجل أن يستقيم الكلام ولا يخرج أوله عن آخره، ولا آخره عن أوله، وهذا المذهب البلاغي تنبّه له قدماء البلاغيين كالجاحظ في (البيان والتبيين) ، وأبى هلال العسكري في كتاب (الصناعتين : النظم والشعر) ، وقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) ، وابن المعتز في (نقد الشعر) ، وابن الأثير في (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) .

وقد جاء القرآن الكريم على سنن العرب في كلامها في فنونه البديعية، وأفانينه البلاغية البيانية، وكان من ذلك أن يستقيم المعنى في أول السورة وآخرها، بحيث يأخذ أولها برقبة آخرها، لأجل أن يظهر الإعجاز القرآني^(١).

وقد فصل بعض ذلك الإمام البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)^(٢) وكذلك الإمام السيوطي في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)^(٣).

وبالفعل نجد أن سورة (القصص) موضوع دراستنا أتت على هذه السُنّة في الأسلوب العرضي لمادتها الداخلية ، ويتضح ذلك باستعراض وشائج هذه العلاقات المترابطة بين فاتحة السورة وخاتمها، وأعرض فيما يلي تفصيلاً لبعض صور الوحدة بين : صدر السورة وعجزها :

(أ) الإشادة بالآيات القرآنية الربانية :

وذلك في صدر السورة في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ ﴾ [القصص / ٢] ، وفي عجز السورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٨٧ ﴾ [القصص / ٨٧]

(١) الباقلاني . إعجاز القرآن . تحقيق : السيد صقر . دار المعارف . القاهرة . د.ت . ص (١٩٦)

(٢) البقاعي . نظم الدرر . تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٩٩٥ م - (١٢٦ / ١) .

(٣) السيوطي . تناسق الدرر في تناسب السور . دار عالم الكتب . بيروت . ١٤٠٨ - ١٩٨٧ - (٢١٦ / ١) .

ونلاحظ معنى الإشادة والتباهى بهذه الآيات الربانية فى الإشارة بلام وكاف البعد فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ وفى نهى النبي ﷺ أن يُصَدَّ وَيُصْرَفَ عن هذه الآيات وعن الدعوة إليها، وأن عاقبة ذلك الشرك، فلم بمفهوم المخالفة لمنطوق الآية عظم شأن هذه الآيات الربانية لمن استمسك بها ودعا إليها .

(ب) الامتتان بالوحى على النبي - ﷺ - :

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص/ ٣]

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾ [القصص/ ٨٦]

(ج) البشارة بالوراثة والتمكين لأهل الإيمان :

وذلك فى صدر السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص/ ٥-٦]

وكذلك فى عجز السورة الكريمة جاء المعنى نفسه فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴾ [القصص/ ٨٣]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص/ ٨٥]

(د) الإشارة إلى عاقبة البغى والطغيان فى الأرض :

وهذا المعنى صدرت به السورة الكريمة عند ذكر فساد فرعون وطغيانه فى الأرض . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٤] ، ثم ذكر المولى . عز وجل . تمام القصة إلى أن نُبِذَ فرعون فى اليم كما ينبذ الشئء الحقيقير الضئيل .

وقرب انتهاء السورة ذكرنا المولى . جل وعلا . بطاغية آخر علا فى الأرض، ألا وهو قارون، وكيف أن الله خسف به الأرض ، فقال عز من قائل : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ

مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص / ٨١]

ثم ختم المولى - جل وعلا - بفصل الخطاب، وأنه لا يبقى طائع ولا عاصٍ ، وفى هذا تحذير للطغاة البغاة بدلالة التلازم حين يلقونه جل وعلا فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ [القصص / ٨٨]

(ه) الإشارة إلى قدر الله الغالب برد كلا النبيين الكريمين -عليهما السلام- :

فالله . عز وجل . غالب على أمره، لا يتعاضمه شيء ، فقد كونا رجوع موسى . عليه السلام . إلى أمه، وجاء ذلك فى صدر السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ

الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص / ٧] وفى نهاية السورة يلفتنا القرآن العظيم إلى المعنى نفسه ، وأن الله - جل وعلا - غالب على أمره، فيبشر الله . عز وجل . نبيه ﷺ برده إلى بلده مكة المكرمة فاتحاً لها مرة أخرى بعد إخراجها منها (١) .

فقال عز من قائل : ﴿ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ [القصص / ٨٥]

(و) الإشارة إلى أن إرادة الله الكونية وحكمه لا رادّ لهما :

فالإرادة : إرادتان شرعية وكونية، فالشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله تعالى كإرادة الصلوات والطاعات وغيرهما، والكونية تكون فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه الله تعالى، كالطاعات، والكفر والفسوق، فهذا الأخير ، أَرَادَهُ اللهُ كَوْنًا وَلَمْ يَرِدْهُ شَرْعًا، فالمهم أن الله - جل وعلا - إذا قدر

(١) جاء فى تفسير قوله تعالى : « إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ » أقوال متعددة خلاصتها أن

الرد هو: بالموت ، وقيل بيوم القيامة، وقيل بالجنة التى هى مصيره وجزاؤه ، وقيل الرد : بالعودة إلى مكة ، وذكر هذا القول الأخير البخارى فى التفسير من صحيحه ، ولكن يبقى إشكال أن السورة مكية، فكيف نقول بالقول الأخير، والآيات مكية، والجواب: أنه يحتمل أن السورة مكية فى مجملها، وأن هذه

الآية مدنية، ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره. انظر : تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤١٧)

أمراً، فإنه أرادَه كوناً ، ولا بد حتماً من وقوعه ، وهذا ما حدث عندما أراد الله - جل وعلا - كوناً أن يمن على المؤمنين المستضعفين ويورثهم الأرض ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم فقال عز من قائل: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص / ٥-٦]

وتم الأمر كما أراد الله - جل وعلا - ، ولا معقب لإرادته وحكمه ، وهو ما قرره الله - جل وعلا

- في ختام السورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ [القصص / ٨٨] .

(ز) الوحدة بين مشابهة قول موسى - عليه السلام - :

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص / ١٧] وهو خبر أو خبر بمعنى الدعاء كما قال أهل

التفسير^(١) ، وبين قوله تعالى للنبي محمد ﷺ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾

[القصص / ٨٦]

المبحث الثالث

(١) انظر: الرازي . التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط ٣ : ١٤٢٠ هـ . القصص . (٢٤) /

ما انفردت به سورة القصص

- (١) ذكر المرأة فى رتب ومستويات متباينة .
- (٢) مقابلات بين نماذج بشرية وشخصيات .
- (٣) تضادات ومفارقات .
- (٤) غنى السورة بالمحاور الأساسية للقصة .
- (٥) تفصيل الأحداث فى ضوء ولادة موسى - عليه السلام - .
- (٦) تفصيل دور امرأة فرعون لإنقاذ موسى - عليه السلام - .
- (٧) تفصيل قصة مقتل القبطى .
- (٨) تفصيل قصة دخوله مدين .
- (٩) انفرد السورة بذكر قصة الرجل المؤمن المحذر لموسى - عليه السلام - .
- (١٠) تفصيل قصة قارون .

المبحث الثالث

(ما انفردت به سورة القصص)

(١) ذكر المرأة في رتب ومستويات متباينة :

فذكرت المرأة في حال كونها : أما . أختاً . زوجة . ظئراً (ترضع لغيرها) . خادمة . مستضعفة . متمكنة . شفيقةً حنوناً . حبيبة . مؤمنة . حسيبة . عاملة . رسولاً . ابنةً وزوجةً مصونتين .

• مثال الأمومة

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [القصص / ١٠] وقوله : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ﴾

[القصص / ١٣] ، قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص / ٧]

• مثال الأخت : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص / ١١]

• مثال الظئر ، قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ [القصص / ١٢]

• مثال الخادمة : قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص / ٤]

• مثال المستضعفة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ

يَسْفُوكَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص / ٢٣]

• مثال المتمكنة ، قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص / ٩]

• مثال الشفيقة الحنون : ﴿ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص / ٧]

وقوله تعالى : ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ [القصص / ٩]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [القصص / ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص / ١٣]

• مثال الحبيبة ، قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ ﴾ [القصص / ٢٥]

• مثال المؤمنة ، قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص / ٩]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص / ١٠]

• مثال الزوجة : قوله تعالى : ﴿ فَمَا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [القصص / ٢٩]

• مثال الحصيفة : قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص / ٩]

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص / ١١]
وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴾ [القصص / ١٢]

وقوله تعالى : ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص / ٢٣]
وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّ أَشْجَرُهُ ۖ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص / ٢٦]

• مثال العاملة : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَّدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص / ٢٣]

• مثال الرسول : قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبَىٰ يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص / ٢٥]

• مثال الابنة والزوجة المصونتين : قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ ﴾ [القصص / ٢٧]

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص / ٢٩]

(٢) مقابلات بين نماذج بشرية وشخصيات :

المؤمن الكريم	الكافر اللئيم
وهذا نجد مثاله فى صورة كل مؤمن محسن أتى ذكره أو وصفه فى السورة الكريمة، ويأتى على رأس هؤلاء النبيان الكريمان موسى وهارون - عليهما السلام - ثم أم موسى وأخته وامرأة فرعون والرجل الصالح (صالح مدين) وابنتاه، والرجل الذى جاء من أقصى المدينة يحذر نبي الله موسى - عليه السلام - .	وهذا نجد مثاله فى كل صورة كفرية متعالية متمثلة فى فرعون وهامان وجنودهما ، وفى كل صورة باغية عالية فى الأرض بغير الحق بسبب المال والجاه متمثلة فى قارون وعَماله .
الفقير المستغنى بربه	الغنى الباغى (المستغنى بماله عن ربه)
وهذا نجده مع نبي الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فى قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص/ ٢٤]	وعلى العكس والنقيض نجد قارون - عليه لعنة الله - لم يشكر نعمة الله عليه، بل لما دُكر بالله . جل وعلا . قال . قبحه الله . فيما يحكى عنه : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص/ ٧٨]
المؤمن المتيقن	الفاسق المستخف
وعلى رأس هؤلاء النبيان الكريمان ومنهم الرجل المحذر لنبي الله موسى . عليه السلام . فهذا الرجل حدا به إيمانه إلى مخالفة كل الأعراف الشركية وهرع يسعى على قدميه ليحذر موسى - عليه السلام - قال تعالى :	ومثال هذا كل فاسق يستخف لقلته عقله، وحبه للباطل، وكرهه للتحول عنه إلى الحق، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ [الزخرف/ ٥٤] وكذلك كل فاسق يستخف ولذلك لم يستن্থم الله جل

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ

مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ [القصص / ص ٢٠]

وكذلك علماء بنى إسرائيل مع قارون ، لم يستخفهم بريق المال ولم يلهم علو قارون أن يقولوا الحق ويعدلوا عن الباطل، قال عز من قائل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص / ص ٧٧]

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْآصِفِرُونَ ﴿٨٠﴾

[القصص / ص ٨٠]

وعلا من الخطاب والعذاب، فقال تعالى : ﴿وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا

كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

[القصص / ص ٦]

وقال تعالى : ﴿فَالْقَطْعُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ [القصص / ص ٨]

ومن أشد الاستخفاف بهم ما سجله القرآن الكريم حكاية عن فرعون . قبحه الله . :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص / ص ٣٨]

ولذلك لم يستثنوا من العذاب، قال تعالى :

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ

﴿٤٠﴾ [القصص / ص ٤٠]

وكذلك أتباع قارون فسقة مستخفون، ولذلك لم يستثنوا من العذاب ولم يستطيعوا أن يدفعوا عنه العذاب، قال تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

[القصص / ص ٨١]

الفاقد للمروءة	العظيم المروءة
ويظهر هذا في موقف الطائفة من الناس الذين يسقون ولا يلتفتون إلى المرأتين حتى بعد فراغهم، وهذا لاشك من فقدان المروءة، وليس من قلتها وهذا واضح في قولهما : ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/ ٢٣]	ويظهر ذلك في موقف موسى - عليه السلام - مع المرأتين الضعيفتين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/ ٢٣-٢٤]
المستضعفون في الأرض	العالى في الأرض
وهذا الصنف يتمثل في المستضعفين من مؤمنى بنى إسرائيل الذين وقع عليهم قهر وظلم فرعون وجنوده، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٤] ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص/ ٤-٥]	وهذا الصنف يتمثل في فرعون ومن معه، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص/ ٤] ، ويتمثل أيضا في قارون ومن معه، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص/ ٧٩]
الكبر والاستغناء عنه سبيل الخسران والخذلان	الذل والافتقار إلى الله سبيل النصر والتمكين
وهذا المثال نراه جلياً مع فرعون وقارون فأما فرعون ففى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص/ ٤] ، وقوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص/ ٣٨]	وهذا نراه جلياً مع موسى عليه السلام فى مواقف عديدة بالسورة الكريمة، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص/ ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص/ ٣٩] وَأَمَّا قَارُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَخَنُوءٌ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص/ ٧٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص/ ٧٨] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص/ ٧٩]	نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص/ ٢١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص/ ٢٢] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/ ٢٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُنَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص/ ٢٣] وَأَخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص/ ٢٤] قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص/ ٣٣-٣٥]
الخاذل وهو الرجل الذي استنصره في اليوم الأول ثم قُتل بسببه القبطي، ثم استنصره في اليوم التالي وفشا أمره، ولما صار في خطر لم نسمع أنه عاضده وأزره، بل لما فشا أمره خذله، قال تَعَالَى : ﴿فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص/ ١٨] فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَتُرِيدُ أَنْ تُقَتِّلَنِي كَمَا قَتَلْتَ	العاضد وهذا هو هارون - عليه الصلاة والسلام - قال تَعَالَى : ﴿وَأَخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص/ ٢٤] قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص/ ٣٤-٣٥]

نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ [القصص / ١٨ - ١٩]	
من كفر بالكتابين وهؤلاء هم كفار مكة الذي ضربوا الأمثال لله ولرسوله على سبيل التعجيز ، وهى أمثلة وأقيسة منقوضة بكفرهم بها ، فكيف يستدلون بها ؟! ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ ﴿٤٨﴾ [القصص / ٤٧ . ٤٨]	من آمن بالكتابين وهؤلاء هم أهل الكتاب الأول ، فكان من اليهود والنصارى من لم يبدل ولم يغير فى دينه ، ولذلك لما جاءهم القرآن الكريم آمنوا به لموافقته الحق الذى معهم ، ومن أمثال هؤلاء عبد الله بن سلام ؓ ، وعدى بن حاتم الطائى ؓ ، والنجاشى ملك الحبشة . رحمه الله . ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَايَنَهُمُ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَالَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنَاهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [القصص / ٥٢ . ٥٤]
الخاسر النام قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتُكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ [القصص / ٤٠ - ٤٢]	الفائز المغتبط قال تعالى : ﴿ وَإِذَا يُنَالَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنَاهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص / ٥٣ - ٥٤] وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ [القصص / ٦١]

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٤) [القصص / ٦٢ - ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ (٨١) [القصص / ٨١]	وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّيْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٦٧) [القصص / ٦٧] وقوله تعالى : ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) [القصص / ٨٠]
الآوى المذنبى وهذا هو صالح مدين ، ذكلم الرجل المؤمن الرقيق ، قال . تعالى . حكاية عنه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥) [القصص / ٢٥]	الطارد المقتضى وهذا هو فرعون . لعنه الله . وقد حكى الله . تعالى . تدبيره لقتل موسى ، فقال : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢١) [القصص / ٢٠ - ٢١]
الغوى المبين قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٨) [القصص / ١٨] ولاشك أن مثل هذا يُورط فى المهالك ، وهو	الناصر الأمين قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠) [القصص / ٢٠]

ضد الناصح الذى يُقيل العثرة ويُشيل من الكبوة	
أهل العلم (طلاب الآخرة)	أهل الجهل (طلاب الدنيا)
قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) [القصص / ٨٠]	قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَتَرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٧٩) [القصص / ٧٩]
الملقى فى اليم	المنبوذ فى اليم
وهذا هو نبي الله الكريم موسى - عليه السلام - ، ومعلوم أن فى إلقائه عناية به ، لأن الله تكفله بحفظه ، فكان اليم له ملجأً ومناماً ، كما كانت النار لإبراهيم برداً وسلاماً ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧) [القصص / ٧] وسيأتى فى الفصل الثالث ما فى هذه الآية من معانى جليلة وإعجاز قرآنى فريد	وذاك هو الأبعد فرعون . لعنه الله . وجنوده وفى استخدام فعل النبذ دلالة على حقارة وضالة المنبوذ، وأن القوة لله جميعاً، قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) [القصص / ٤٠]

(٣) تضادات ومفارقات :

(أ) الغرق والخسف عاقبة التعالى والبعى :

فرعون . قبحه الله . علا فى الأرض علواً حسياً ومعنوياً، فعوقب بنقيض قصده حسياً ومعنوياً، وهاك البيان :

العلو الحسى : قال فرعون . لعنه الله . : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣٨) [القصص / ٣٨]

فجاء العقاب الحسى : فى قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَنَبَذْنَهُمْ فِي آيَةٍ فَأَنْظَرُ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ [القصص / ٤٠]

وأما العلو المعنوى : فظاهر فى كل أقوال وأفعال فرعون ، ولا أدل من قوله مدعياً الألوهية : ﴿

مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص / ٣٨]

فجاء على النقيض أيضاً العقاب المعنوى : فى قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ

إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ

مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [القصص / ٤١-٤٢]

وأما قارون - لعنه الله - : لما علا وتباهى وبغى فى الأرض ، جاء العقاب أيضاً على نقيض

القصد ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص / ٨١]

(ب) بين قدر الله الغالب وتقدير فرعون المغلوب فالله - عز وجل - غالب على أمره ، والله -

عز وجل - إذا أراد أمراً هياً أسبابه ، ولا راد عندئذ لحكمه ، ففرعون فكر وقدر فقتل كيف قدر ،

وانتهى إلى الأمر بقتل الأولاد من بنى إسرائيل ، ولكن بقدر الله الغالب يربى فرعون موسى ،

ويبعث الجنود للبحث له عن المراضع ، مع التشديد على ضرورة العناية والاهتمام بريب

الفرعون الأعظم ، قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهُ فِي الْبُحْرِ فَأَخْرَجْنَاهُ لِيُرِيَهُ آيَاتِنَا فَارْتَدَّ عَلَى آخِطَائِهِ وَارْتَدَّ عَلَى

وَهَمَّ أَنْ يَنْصُرَهُ فَأَخَذْنَاهُ بِالْأَيْمِ وَقَدْ كَفَرَ فَزَعَمْنَا أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى آخِطَائِهِ فَأَخْرَجْنَاهُ لِيُرِيَهُ آيَاتِنَا فَارْتَدَّ عَلَى آخِطَائِهِ وَارْتَدَّ عَلَى

(ج) تلك إذا قسمة ضيزى :

فنبى الله موسى - عليه السلام - ينتفض ليُحجَّز بين رجلين بينهما شر ، يصول أحدهما على

الآخر ، فلما هبَّ لنصرة المظلوم بدفع الظالم فقط عن خصمه ، والأمر لا يخلو كما هو معلوم

من بعض التعنيف والدفع لفض هذا العراك ، وقع هذا الخصم صريعاً ، نظراً لقوة نبى الله موسى

- عليه السلام - ، فقامت الدنيا ولم تقعد ، واستنفر فرعون الجنود لطلب القاتل خطأ ، وهذه

الجنود بعينها هى التى تُستنفر لتقتل الطفل البرىء الذى لم يقترب إثماً ، طاعة للفرعون

الأعظم ، لذلك فقياسهم فاسد ، وحججهم محجوجة بقبيح فعلهم ، ولا أكثر من أن نقول : تلك

إذا قسمة ضيزى .

(د) هداية التوفيق بيد الله وحده :

فالهداية هدايتان: هداية توفيق أو هداية إرشاد، (فالأولى) لله وحده، و(الثانية) لله ثم للأنبياء والمرسلين ومن وراءهم من أهل العلم ، وهداية البيان والإرشاد مما كتبه الله على نفسه،

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ﴾ [الليل/ ١٢] ، وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ﴾ [الأعلى/ ٣] ، ويسمونها العلماء أيضاً (الهداية العلمية)، وأما هداية التوفيق فيسمونها (الهداية العملية) ، وهذه الأخيرة يختص بها الله -جل وعلا- ، قال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص/ ٥٦] فنفى الله - جل وعلا - عن نبيه ﷺ . هداية التوفيق في حين أثبت له مع غيره من الرسل هداية الدلالة والإرشاد في قوله : ﴿

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْفَنَةٌ ۖ﴾ [الأنعام/ ٩٠]

وأثبت له الهداية وحده في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى/ ٥٢] فالمهم أن الله - جل وعلا - بيده القلوب ، وهذا واضح جداً في هذه السورة الكريمة ، فامرأة فرعون من آل وقومه ، ومع ذلك اجتباها الله - جل وعلا - وهداها بهداية التوفيق فأمنت ، وقارون من قوم موسى من بني إسرائيل ، ومع ذلك وكله الله إلى نفسه فهلك ، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ لم تنفعه قرابته من النبي محمد ﷺ حال موته على الشرك ، وبين قارون وأبي طالب شبه كبير في الكفر والقربة .

(هـ) الإيمان ملة واحدة ، والكفر ملة واحدة :

وهذا واضح في تكذيب وعناد كفار مكة للنبي - ﷺ - ، وحيدتهم عن الحق فيما يشبه حيدة فرعون وملئه ، ففرعون اتهم موسى وهارون -عليهما السلام- بأنهما ساحران ، وكفار مكة اتهموا النبي محمداً وموسى - عليهما السلام - بأنهما ساحران ، قال تعالى عن فرعون : ﴿

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوٓا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۖ﴾ [القصص/ ٣٦] و أما كفار مكة فقال عنهم الله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

مِّن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ۖ﴾ [القصص/ ٤٨]

وعلى النقيض من ذلك نجد حال المؤمنين مع النبي محمد - ﷺ - يتفق مع حال المؤمنين في كل زمان ومكان وهذا ما سجله القرآن الكريم في الجملة وسجلته هذه السورة الكريمة على وجه الخصوص .

فموسى عليه السلام يصف فرعون وجنوده بالظالمين ، وكذلك صالح مدين يصفهم بالظالمين قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/ ٢١] وقال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/ ٢٥] ويحتمل أنه قال ما قاله تصديقاً لوصف نبي الله موسى - عليه السلام - ، وهذا أيضاً يدل على وحدة مشارب المؤمنين واتفاقهم .

وكذلك ثم شبه بين إعراض المؤمنين على عهد النبي محمد ﷺ عن أصناف اللغو والجهل ، وبين أهل العلم مع قارون و إعراضهم عن زينته وجهله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهْلِينَ ﴾ [القصص/ ٥٥] وهي المفاصلة نفسها التي أعلنها العلماء مع قارون ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص/ ٨٠] .

(٤) غنى السورة الكريمة بالمحاور الأساسية للقصة :



غير أن هذه النقطة قد تنتقض بوجود هذه المحاور في سور أخرى كسورة يوسف .

(٥) تفصيل الأحداث في ضوء ولادة موسى - عليه السلام - :

ورد في هذه السورة الكريمة تفصيل ما أجمل في سور أخرى ، وكان من جملة ما فُصِّل الأحداث فيما بعد ولادة نبي الله موسى - عليه السلام - ، فجاء التصريح بالوحي بإرضاعه ، وعند الخوف تلقيه في اليم مع عدم الخوف عليه ، وكذلك جاء تفصيل قصه التقاط آل فرعون لموسى - عليه السلام - ، مع تمام جهلهم بما تصير إليه مقادير الله ، ودوران الدائرة عليهم ، وكذلك جاء التفصيل في قصة رده على أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ، وكذلك تفاصيل الحيلة التي احتالها أخت موسى لإرجاعه إليهم .

(٦) تفصيل دور امرأة فرعون لإنقاذ موسى - عليه السلام - :

فامرأة فرعون كانت له بمنزلة الأم بعد فراق أمه ، ألقى عندها قرار العين ، ولمس منها الدفء ، وغمرته بوافر الحب ، وتلكم - لعمر الله - تصديق قوله تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه: ٣٩

(٧) تفصيل قصة مقتل القبطي :

قصة مقتل القبطي وردت في القرآن الكريم إماماً ، ولم ترد تفاصيل الأحداث تصريحاً إلا في هذه السورة ، ولعل ذلك لأنها بمثابة الحدث الفارق في حياة موسى - عليه السلام - ، وحياة من حوله .

(٨) تفصيل قصة دخوله مدين وفيها :

إضلاله الطريق لمدين ، ثم دعاؤه وتوسله لربه عز وجل لهدايته ووصوله إلى ماء مدين ، ثم قصة السقي للمرأتين ، ثم مقابلة الرجل الصالح ، ثم قصة زواجه وتأجير نفسه ، ثم وفاؤه بأكمل الأجلين وأطيبهما ، وقفوله إلى مصر مع أهله مروراً بسيناء ، ثم الحدث الجليل حدث التكليف بالرسالة .

(٩) انفراد السورة الكريمة بذكر قصة الرجل المؤمن المحذر لموسى - عليه السلام - :

(١٠) تفصيل قصة قارون :

وذلك حتى يكتمل الاعتبار بقصص الظالمين ، فطغيان قارون منشؤه الابتلاء بالمال ، كما أن طغيان فرعون مستمد من الجاه والسطوة .

وصدّرت قصة قارون ببيان قرابته من موسى - عليه السلام - لدفع شبهة من يتوهم أن للقرابة من الصالحين زلفى إلى الله ، والحقيقة أن الله لا يحابي أحداً ، لانتفاء نسبه مع عباده ، فالكل مربوب له ، مقهور بسلطانه ، ولا سبيل للفوز برضاه إلا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح .